سلسلة حقائق وأكاذيب في حياة المرأة المسلمة

(١)

المتبرجات

تأليف
الزهراء
فاطمة بنت عبد الله

المكتبة الإسلامية
دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الرابعة
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

المكتبة الإسلامية
ص.ب. (١١٣) الجبيهة - هاتف: ٨٤٢٨٨٧ - عمّان - الأردن

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ بقلم الأستاذ «العزّي مصوعي»
(مدير عام الإعلام والثقافة ـ الحديدة ـ اليمن)
حفظه الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الصادق الأمين وعلى آله وصحبه الأكرمين.

أما بعد؛ فإنني بعد اطلاعي على كتاب «المتبرجات» للكاتبة المؤمنة الصادقة التعبير، المخلصة في أداء واجبها الديني والدنيوي، الواضحة في كل جملة كتبتها، وحرف أحسنت توظيفه في موقعه المناسب؛ مما دفعني ـ وقد ملأني إعجاباً ـ إلا أن أعبر عن هذا الإعجاب لهذه الكاتبة النابغة العالمة الزهراء فاطمة بنت عبد الله.

قبل أن تبدأ رحلتها مع المرأة المسلمة والحجاب؛ اتجهت بكلٍّ مشاعرها وأحاسيسها إلى نفسها، مهذبةً لها، مؤدبةً لها، موجهةً لها للسير على هدىً من الكتاب والسنة، جاعلةً نصب عينيها الخلق الكريم، والسلوك الحسن، ولعلها ـ حفظها الله ـ أدركت أنها لن تصل إلى ما تصبو إليه؛ إلا بعد تشبعها روحياً بخُلُق القرآن وهدي محمدﷺ.

ومن هذا المنطلق الإشعاعي؛ نظرت إلى الحياة بمنظار المرشد في سبيل الإصلاح لأختها المسلمة في الله، وشاهدت ما أفزعها وأقلقها وأرعبها، وزادها تصميماً على التصدِّي لهذا السفور المشين لوجه الكرامة الدينية، وسمحت ليراعها السيّال الانطلاق في هذا المجال؛ مجال الدعوة

إلى إصلاح المجتمع الإسلامي من نفايات الفساد، والتقليد الأعمى لممارسة قشور مظاهر المدنية الغربية، الطارئة على مجتمع إسلامي مهترىء، لم يبق من روائه غير الاسم، فقد أطبق عليه الجهل المركب المسخر بعوامل شيطانية، ظاهرها برّاق خلاب، وباطنها مكر وخداع وانحلال وضياع، كل هذه أدوات تدمير، حملتها من الغرب إلى العالم الثالث يد شيطانية، ولم تجد مرعى خصباً لها؛ كالمرأة المسلمة البعيدة عن بهارج المدنية الغربية المزيفة، المنطوية على نفسها خلف حُجُب العزلة، ولما للجهل في العالم الثالث من سيطرة شاملة، تمكن الغرب ـ بانحلاله الفاسد ـ من إعطائه شحنات حرارية من أنواع الفساد، وحين فتح عينيه رأى المرأة الغربية سافرة، تتكسر في مشيتها تظهر مفاتنها، تتحدث مع الرجل وجهاً لوجه، وبعض من أعضائها تبرزها كصدرها الناهد الناصع، وفي ثوانٍ يحيل هذا المشهد الشهواني رجل العالم الثالث إلى بركان متحرك، منقاد لهذا الشيطان الذي أثار كوامنه، وجعله فريسة للشهوانية المدمرة.

وانتشر الفساد في أرض الإسلام، وعاد كما كان في عصر الجاهلية: التبرج للمرأة المسلمة، والتمغنج، والنظرات الوقحة، والعري يظهر في الملابس، والتكسّر في الخطى من كل غانية، تداعبها شياطين الملاهي والملاعب في المسارح، خلف ما تخفي كواليس الدعارة والمهارة في اجتلاب الظامئين إلى ارتشاف الحب من كأس الرذيلة والفتون والسير خلف القائد المجنون إبليس اللعين.

هذه المظاهر كلها لفتت انتباه أختنا المؤمنة الزهراء، فأكّدت التصميم على السير في هذا الدرب الشائك؛ درب التوجيه والإرشاد لأختها المرأة المسلمة، حتى لا تظل مقلدة لرُسل الفساد الغربية إلى أرض الإسلام، طالبةً منها: أن تحفظ وجهها من بثور النظرة الفاسقة، أن تحتشم في ملابسها، وألاّ تظهر ما يغري إلا لمن أحله الله لها؛ فقامت بتأليف هذا

الكتاب، وأعتقد أن كل ذي دين وإيمان وغيرة على شرفه، ويطَّلِع على هذا المؤلَّف للأخت الزهراء فاطمة بنت عبدالله؛ إلا ويمد يده إلى يدها مباركاً لها هذا الجهد، مهنئاً لها بهذا التوفيق من الله الذي هداها سواء السبيل، فجاءت بِدُرِّ اللفظ في جمل أغلى من الذهب، وأنقى من ماء المطر، وأسلس في الفهم من نفحات الربيع.

ومثل هذا المؤلَّف القيِّم لا يمكن أن تقف ضده أية سلطة؛ لأنه من أجل حماية المرأة المسلمة من ضلال الإغراء والانحلال.

وإنني أباركها، وأرجو لهذا المؤلَّف القيِّم أن يطبع وينشر في جميع أنحاء العالم الإسلامي، والله الموفق والمعين.

تقريظ من فضيلة الشيخ العلاّمة

«محمد علي إسماعيل البطاح الأهدل»

حفظه الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فقد اطلعت على الكتاب المسمى «حقائق وأكاذيب في حياة المرأة المسلمة ـ المتبرجات»، فوجدته مفيداً فريداً في بابه، جُمع فيه ما تفرق في غيره، سهل المنال، جيد الأسلوب، واضح الفكرة، خالياً من الغموض، أثاب الله مؤلفته على صنيعها الجميل، وكافأها بإحسان، ونسأل الله العلي القدير أن ينفع من قرأه وتلقاه بقلبٍ سليم، وأن يرزق فتياتنا الفهم الصحيح والسليم لمحتويات ما جاءت به الشريعة المطهرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الفقير إلى الله تعالى

محمد علي إسماعيل البطاح الأهدل

مدير معهد المرتضى بِزَبِيد

تقريظ من فضيلة الشيخ العلاّمة

«محمد إبراهيم العيسوي»

حفظه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمدﷺ .

أما بعد؛ فإنَّ هذا العمل عمل طيب، جاء في حينه، في زمن تكالب فيه أعداء الإسلام بل أعداء الإنسانية؛ ليُجهزوا على ما تبقى من شريعة الله التي قد صنعوا لها من يحاربها، ويستبدلونها بقوانين الأرض، وشرائع العقليات الهابطة.

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ (سورة الأنعام: ١١٥، ١١٦).

وجاء أيضاً ليرد الفتاة المسلمة إلى ربها، ويعيد إليها رشدها، ويرفع شأنها كما رفعها الإسلام، وليضع بين يدي كل مسلمة حقائق ما يُدَبَّرُ لها، وما يُراد للنساء المسلمات من خداع تحت عناوين برّاقة، وأساليب خدّاعة، لا يُراد منها إلا النيل من كرامة المسلمات، وإبعادهن عن العفة والطهر، فإذا فسدت المسلمة فسد المجتمع كله.

وجهد الأخت الزهراء يعد جهداً طيباً، وبادرة خير في زمن عزَّ فيه الأخوات المربيات الفاضلات.

وإنني أشكر فيها حسن اختيارها، وترابط فصول الكتاب، وقدرتها على البحث.

وإن كانت المكتبة الإسلامية زاخرة بمؤلفات في هذا الباب؛ فإنَّ هذا الكتاب يُعتبر منهجاً جديداً وبحثاً دقيقاً فاق كثيراً من المؤلفات التي سبقت في هذا الموضوع.

نسأل الله للأخت المؤلِّفة أن يبارك عملها، ويعينها على مواصلة جهادها واجتهادها، وأن يُكثر من أمثالها، والله ولي التوفيق.

محمد إبراهيم العيسوي
إمام مسجد الأسودي

الحديدة ـ اليمن
١٣ من ربيع الثاني ١٤٠٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي كرَّمَ المرأة فشرع لها من الدين ما يصون عفتها، ويكفل لها كرامتها، ويوفيها حقوقها، وصَلِّ اللهم على سيدنا محمد الذي بلَّغَ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين، وسلِّم عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فإلى كل أخت مؤمنة، فإنه لا تستجيب لأمر ربها إلا مؤمنة، صدَّق قلبها بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وآمنت بالقضاء والقدر خيره وشرِّه، تلك هي المستعدة لقبول ما فرض الله عليها في الحال؛ لأنها تدرك بفطرتها السليمة أنَّ الذي خلقها هو الأدرى بما يُصلح حالها، فإنه لا يصلح الشيء إلا صانعه أو الخبير بصنعه، وإنَّ من الجهل أن يعتقد أحد أن الدين يُضيِّق عليه ويُقيِّده بينما هو في الحقيقة يصلحه ويقوِّمه.

إلى كل مسلمة اختلطت عليها الأمور، وتعددت أمامها السبل في زمن صار فيه المعروف منكراً والمنكر معروفاً، في زمن زُيِّفت فيه الحقائق، واختلَّت فيه المفاهيم، وأصبح الحليم حيران، وانتشرت الفتن كقطع الليل المظلم.

إلى كلِّ مؤمنة مسلمة أرفع كتابي هذا يضيء لها الطريق، ويكشف لها بعض الحقائق، ويرفع من حولها ركام الزيف، لتسير على بصيرةٍ من أمرها في أهمِّ ما يتعلق بها من أمور.

وإنني لأدعوها إلى تلبية داعي الله، وعدم الاستجابة للمغرضين من الكتّاب والمفكرين وأدعياء العلم المضلِّلين، وأدعياء الإصلاح المفسدين؛ الذين زيَّفوا الحقائق، وقلبوا المفاهيم مهما بلغوا من السمعة والشهرة، فالحق أحق أن يتبع، ولا يحل لنا اتباع قول كائن من كان إن حمل المخالفة لصريح كتاب الله وصحيح سنة رسوله، تعصباً له أو تقديساً لفكره أو احتراماً لشهرته؛ لأن كل إنسان يُؤخذ من قوله ويُرد إلا المعصوم ﷺ القائل: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسنتي».

فكل فكر خالف قول الله ورسوله وما تعارف عليه شرعاً يجب أن يُترك.

وقد قمت في بحثي هذا بإيراد الحقائق، والردِّ على الافتراءات، وكشف زيفها بما قدرني الله عليه من جهد، وما أوتيت من فهم وعلم لكتاب الله وسنة رسوله، وحسب ما توفر لديّ من مراجع.

وقد آثرت عرض هذه الأمور على هيئة سلسلة أسميتها «حقائق وأكاذيب في حياة المرأة المسلمة» تتضمن أبحاثاً تتعلق بالمرأة: كالتبرج، والموضة، والاختلاط، والحجاب، وتحرير المرأة المسلمة، والعلاقة بين الزوجين، وغير ذلك من أمور تهم كل مسلمة.

وكان الدافع لكتابتي بحث «المتبرجات» الذي بين أيدينا الآن، هو بيان دور إبليس في كشف العورة، وتحرير المرأة المسلمة مِنْ أفكار مَنْ قيدوها بقيود الشهوات، وألبسوها رداء المنكرات، وجعلوها ألعوبة يلهو بها الرجال إلى حين.

وقد ختمت بحثي بالخاتمة الطبيعية له؛ وهي ذكر عرض موجز لشروط الحجاب الإسلامي الصحيح، لتلتزم بها من تفيء إلى أمر الله، وتبادر بالتخلي عما هي فيه من معصية التبرج التي هي من كبائر الذنوب، والتي

تخضع لمخطط شيطاني رهيب، تآمر على المرأة المسلمة فيه شياطين الجنٌ والإنس؛ للقضاء على حصانتها وحريتها وعفتها، وإخراجها من خدرها تحت شعارات بَرَّاقة، ودعاوى فاسدة مما ترتب على ذلك فسق الشباب، وكانت النتيجة التي سعى لتحقيقها هؤلاء الشياطين هي: إغفال الشباب المسلم لواجبه الملقى على عاتقه وتركه للجهاد في سبيل الله؛ مما أدى إلى تدمير المجتمع الإسلامي الشامل لجميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والصحية والسياسية والفكرية... وغير ذلك، فضلاً عن وقوع المسلمين أذلاء في قبضة أعداء الله وأعدائهم.

وإنَّ بحثي هذا لا يتعلق بالمتبرجات من غير الملتزمات بالحجاب الشرعي فحسب، بل يتعلق بالمتبرجات من المتحجبات!

وإنه ليكاد ينفطر قلبي وأنا أرى بعضهن يخرجن بملابس يُخيل إليهن أنها حجاب، بينما يُعتبرن بها كاسيات عاريات مائلات مميلات، يستوجبن الحرمان من الجنة!

فمنهن من تزين رأسها بأخمرة تتفنن في ربطها وإضافة الحلي إليها؛ مما يزيد من فتنتها، مع صبغ وجهها بمختلف الأصباغ ومواد التجميل، مع تغييرها خلق الله بالنمص وهو نتف شعر حاجبيها وترقيقهما في معظم الحالات، وقد تقصّر ثوبها الجميل الفاتن، لترتدي جورباً شفافاً يحدد من شكل ساقيها ويزيد في جمالها، وقد تنتعل مع ذلك حذاءً رفيع الكعب صارخ الصوت تتنقل عليه بدلال، وتتمايل مع أنغامه التي يصدرها ذات اليمين وذات الشمال؛ فتصبح فتنتها أشد مما لو كانت بغير حجابها المزعوم هذا، وقد ترتدي إحداهن ثوباً طويلاً ولكنه منقوشٌ مزيَّنٌ، تلفت به أنظار الرائحين والغادين في الطريق، أو ترتدي ثياباً تحدد من شكل صدرها وخصرها، وغير ذلك من الأماكن البارزة من جسدها، وتشتد الفتنة عندما تكون المرأة ممتلئة

الجسم؛ فتصبح أكثر إغراءً من تلك الكاشفة لأجزاء جسمها.

وقد تُلقِي المرأة على أكتافها عباءة خفيفة ترفعها إلى خصرها، أو تضمها لتلتصق بشدة وتحدد أجزاء جسمها، ويبدو ما تحتها من ثياب مزركشة: كأثواب العرائس، ويظن هؤلاء النسوة أنهن تحجبن، وما هن بالمتحجبات في الحقيقة إلا عن الخير!!

هذا بالنسبة لمن تظن أن لباسها الفاتن حجابٌ، أما بالنسبة لتلك المتبرجة السادرة في غيها، المنصرفة عن دينها؛ فإنني أسألها: هل تستحقين أن يُكتب عنك «مسلمة» أمام الخانة المتعلقة بالديانة على الورق المخصص لشهادات الميلاد، والشهادات الدراسية، وعقود الزواج، والوظائف، والبطاقات الشخصية، وغير ذلك؟... هل مظهرك مظهر المسلمات العفيفات الطائعات أم هو مظهر الفاسقات الماجنات الخليعات؟!

إنني أدعوكن وأدعو نفسي إلى الالتزام بما التزمت به نساء النبي ﷺ والصحابة الذين هم خير القرون وأكرمها على الله عزَّ وجل. يقول تعالى:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (سورة التوبة: ١٠٠).

وكيف نحيد عن هذه الطريقة التي تكفل لمن تبعها بإحسان رضاء الله ورضوانه؟ بينما يؤدي التخلف عنها إلى ما يبينه قول الله تعالى:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ (سورة النساء: ١١٥).

والله أسأل أن يوفقنا جميعاً لنيل محبته ورضاه، وأن نكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه . . . آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلفة

الزهراء فاطمة بنت عبدالله

اليمن - ١٤٠٧ هـ.

ظهور العورة الأولى

«منَّ الله تعالى على البشر فخلقهم في أحسن تقويم، وبدأ خلق الإنس بآدم عليه السلام حيث خلقه من طين، ونفخ فيه من روحه فإذا هو حيٌّ محكم التركيب، جميل الصورة، سويّ الخلقة، معتدل القامة، يتحرك بإرادة الله، ويدرك بفضله، وأمر الملائكة بالسجود له سجود تكريم لا سجود عبادة؛ لأن الله تعالى لا يأمر أحداً أن يتوجه بالعبادة إلى أحدٍ سواه، فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربه، وأبى أن يسجد استكباراً، فأعلمه الله بأنه من أهل النار، وقضى عليه بالطرد من الجنة لعصيانه؛ فطلب من الله تعالى أن ينظره إلى يوم الدين، وتوعّد آدم الذي طُرِدَ بسببه من الجنة بأن يغوي ذريته ويفسدهم، وأن يسعى في أن يجعل أكثرهم غير شاكرين لله النعمة بالطاعة، فتوعده الله هو وكل من أطاعه من ذرية آدم بالنار جزاءً وفاقاً لمخالفتهم الله.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ

ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (سورة الأعراف: ١١ - ١٨).

ثم أمر الله آدم أن يسكن الجنة بعد أن خلق له حواء ليسكن إليها، وأباح لهما كل شيء فيها إلا شجرة عيَّنها لهما، ولكنَّ إبليس وسوس لهما بالأكل من هذه الشجرة، وأغراهما بشتى أنواع المغريات، وقال لهما: إن ربكما لم ينهكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا لأن الأكل منها يجعلكما من الملائكة أو تكونا خالدين فلا تموتان، بل أقسم لهما كاذباً أنه يوجه إليهما النصح والإرشاد لا الغواية والإضلال، ولم يزل يزين لآدم عليه السلام الأمر حتى نسي أن ذلك عدوه الذي حذَّره الله منه أشد التحذير، فأكل آدم وحواء عليهما السلام من الشجرة المحرَّمة عليهما، فانكشفت لهما عوراتهما، فجعلا يسترانها من ورق الجنة ليسترا ما كشفه الله بالمعصية»[1]!!

يقول الله عزَّ وجل: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

(١) «قصص الأنبياء» لعبد الوهاب النجار (ص ٢ - ص ٧) بتصرف.

ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ (سورة الأعراف: ١٩ ـ ٢٤).

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي:

«الله تعالى أراد لخليفته في الأرض؛ أن يعلم علماً تجريبياً معملياً واقعياً لا نظرياً فقط؛ بأن الذي يُخالف عن أمر رَبِّه لا بُدَّ أن تبدو عورته وتنكشف سوأته. قال الله تعالى:

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾.

قبل المخالفة لم تظهر السوأة. وإنما ظهرت بعد المخالفة.

تلك رمزية إلى أن منهج الله في الأرض إذا أردت أن تعرف الصدق في تنفيذه؛ فانظر إلى الكون الذي تعيش فيه، فإن لم تجد في الأرض عورة من العورات، ولا سوأة من السوءات؛ فاعلم أن منهج الله مطبق»[1].

ويقول الشيخ محمد علي الصابوني:

«سُميت العورة سوأة؛ لأن كشفها يسوء صاحبها. قال العلماء: في الآية دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور، وأنه مستهجن في الطباع، ولذلك سُميت سوأة.

أقول: إن الآية قد أوضحت هدف إبليس اللعين:

﴿ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾.

فمن دعا إلى تعريِّ المرأة وشجع على ذلك كما هو حال من يزعم التقدمية، ويدعو المرأة إلى نزع الحجاب بدعوى الحرية والمساواة فإنما هو

---

(١) «آدم أبو البشر بين المعصية والرسالة» (ص ٣٩).

عدوٌّ للمرأة ومن أنصار وأعوان إبليس؛ لأن الهدف واحد وهي دعوة مكشوفة غايتها التفسخ، والانحلال الخلقي، وليست التقدمية بالتكشف والتعري، وإنما هي بصيانة الشرف والعفاف ولله درُّ القائل:

يا ابنتي إن أردت آية حسنٍ — وجمالاً يزين جسماً وعقلا
فانبذي عادة التبرج نبذاً — فجمال النفوس أسمى وأعلا
يصنع الصانعون ورداً ولكن — وردة الروض لا تُضارع شكلا[1]»

«ويتبين من الآيات السابقة؛ أنه عندما خالف آدم عليه السلام وحواء أمر الله وأكلا من الشجرة التي أمرهما الله بعدم الأكل منها؛ عاقبهما الله بأن عرَّاهما، فهل نعد عقاب الله (وهو التعري) حضارة ورقياً؟!!»[2].

إن ظهور العورة هو أول فعل مشين حدث للإنسان، وهو أول نتائج معصيته لأمر الله سبحانه وتعالى، والفرق بين معصية إبليس ومعصية آدم عليه السلام؛ أن إبليس عصى ربه بصورة مباشرة بجملة من المعاصي، ولم يستغفر منها، بل أصرَّ على ذنبه بتوعده بالانتقام من آدم وذريته كما سبق ذكر ذلك، أما آدم عليه السلام؛ فإنه نسي أمر الله، وضعف أمام الغواية، ثم ندم وتاب إلى ربه، فغفر له.

أهبط الله آدم وحواء عليهما السلام من الجنة، ولكن لم يتركهما وذريتهما غنيمة لإبليس وذريته، وإنما أنزل الشرائع السماوية، وبعث الرسل لهداية البشر وإصلاحهم.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ

(١) «صفوة التفاسير» (المجلد الأول ص ٤٤٢).
(٢) من «رسالة إلى كل فتاة».

﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (سورة البقرة: ٣٨ ـ ٣٩).

وقد سخر الله لبني آدم ما يستر عوراتهم.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٦).

تسلسل انكشاف العورات

حذَّر الله سبحانه وتعالى بني آدم على ألسنة رسله عليهم السلام من مكائد الشيطان، ذلك التحذير القويّ الذي سبق أن حذَّره لأبويهم آدم وحواء عليهما السلام، فقال عزَّ وجل:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٧).

. . . ولكن هل استجاب بنو آدم لتحذير الله تعالى فبادروا بصمِّ آذانهم وقلوبهم عن وساوس الشياطين؟ لا . . . ويا للأسف! . . . لقد آمن مَنْ آمنَ وكفر مَنْ كفر. . . ولقد أيقن الذين آمنوا بالله أنَّ ما يعدهم به ربهم حقاً، وأنَّ ما يأمرهم به أو ينهاهم عنه هو الذي يصلحهم، ويكفل لهم السعادة التي ينشدونها في الدنيا والآخرة، فاستجابوا لله وقالوا: سمعنا وأطعنا!

أما أولئك الأشقياء الذين استحوذ عليهم الشيطان؛ فأنساهم ذكر الله وأوامره ونواهيه وتحذيراته؛ فقد كذبوا الرسل، وتبجحوا على الخالق عزَّ وجل ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُواْ

﴿وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (سورة الأعراف: ٢٨ ـ ٣٠).

عاث هؤلاء الكفار فساداً في الأرض، وتصرفوا تصرفات الدواب التي لا تعقل؛ بأن عطلوا عقولهم عن التدبر فيما جاءتهم به رسلهم من عند الله تعالى، فقال عنهم عزَّ وجل:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ (سورة الأعراف: ١٧٩).

لقد حوّلهم البعد عن منهاج الله إلى شخصيات مهزوزة الفكر، معكوسة المنطق، فادَّعوا أنهم يريدون الإصلاح في الأرض من حيث أنهم فسدوا وأفسدوا غيرهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ (سورة البقرة: ١١ ـ ١٢).

وكان من مستلزمات بهيميتهم أن يعرُّوا أجسادهم كما عرُّوا نفوسهم من كل فضيلة وشرف وعزة، فكان انكشاف العورات الذي يتبع ارتكاب المعاصي بالتخلف عن نهج الله... هؤلاء العراة تراهم في الشوارع والأسواق وأماكن العمل وشواطىء البحار وفي المطاعم والملاهي والمقاهي... في دور السينما والمسارح وصالات الرقص والحفلات... تراهم ينتشرون انتشار الجراثيم الضارة التي تنشر الأوبئة الفتّاكة، وتبث سمومها المميتة في أوصال المجتمع... إنهم السوائم التي لا همٌّ لها إلا

قضاء شهوات الجسد. . . لا يحلون حلالاً ولا يحرمون حراما، أتتهم شياطينهم من بين أيديهم، ومن خلفهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم بشتى فنون الإغراء والتزيين في كل عصر بما يناسبه، وبلغوا القمة في عصرنا الحاضر حيث أتتهم شياطينهم بالدعوات الهدّامة، والشعارات البرّاقة الزائفة، وأطغتهم بوسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة التي استُغلت أسوأ استغلال؛ لبث الفوضى والانحلال الخلقي فمن أغانٍ وأشعار خليعة ماجنة، إلى أفلامٍ ومسرحيات وتمثيليات وإعلانات فاجرة يندى لها الجبين، ومن كتبٍ تخصصت في إذكاء الشهوات البهيمية، إلى مجلاتٍ وصحف وملصقات تزيد من هذا السعار الحيواني المجنون، وكأن الإعلام في بلاد الإسلام قد أجمع أمره، وأعدَّ عدته؛ لكي يكون حرباً على الرحمن عوناً للشيطان، فلا يكاد المسلم أو المسلمة يجدان من الوقت الجاد شيئاً. . . إنها عملية إغراق وخنق للقيم، ومخطط رهيب للقضاء على كل فضيلة وشرف، تسلَّم فيها إعلامنا زمام الأمور، ومضى بنا إلى الحضيض.

لقد خدَّرت شياطين الإنس والجن شبابنا، واستعبدتهم باسم الرقي والتقدم والحضارة، وكأنَّ تقدم الإنسان ورقيّه لا يتم إلا بخلع ملابسه وكشف عورته، لا بسعيه وبحثه الدؤوب وإعمال عقله، لقد سامتهم شياطينهم أبشع ألوان الذل والعبودية، فاخترعت لهم ما يُسمى (بالموضة). . . وبالموضة يرى كل ذي بصيرة إلى أي درك انحدرت عقول المتبعين لها، فتارة تأمرهم شياطين الموضة بتقصير الثياب إلى ما فوق الركبة (هذا بالنسبة للمرأة)، وتارة يقررون لها أن تقصيرها يجب أن يكون تحت الركبة بقليل، وتارة أخرى يجعلونها تنسدل إلى الكعبين، والمرأة في كل هذا تسير كالمأخوذة، وكأنَّ هناك يداً تسيّرها وتستعبدها لتفعل كل ما يملوه عليها هؤلاء الشياطين.

وترى الشباب يُخطط له ما خُطط للنساء؛ لضمان تبعيتهم الكاملة لكل أمر يصدر عن هؤلاء الطواغيت، فتارة يجعلون البنطلون الرجالي

بحمّالات، وتارة أخرى بدونها، وتارة يجعلون فتحته السفلية كبيرة متسعة جداً، وكأنها شمسية، وتارة أخرى يجعلونها متوسطة الاتساع، وأخيراً يقلعون عن ذلك فيجعلونها ضيقة جداً، فيمشي الرجل وكأنه يرتدي محقناً. . . !

ثم يعيدون الكرّةَ من جديد، ويسلم لهم شبابنا رقابه بلا عقل ولا تفكير، وكأنه عندما يرتدي ما يقررونه له من أزياء يكون قد صنع الحضارة وشقَّ الأرض؛ فاستخرج كنوزها وبلغ عنان السماء. . . فينظر إلى غيره ممن لا يهتم بهذه التفاهات نظرة تحقير وازدراء!

وهذا الذي ذكرته غيضٌ من فيض مما يتلاعب به هؤلاء الشياطين على عقول الشباب والشابات، فيمسخون شخصياتهم، ويحولون اهتماماتهم من القضايا الكبرى التي يجب أن يشاركوا فيها لبناء أمتهم، بناءً قوياً محكماً إلى أمور تافهة؛ تستغرق جلَّ وقتهم وتفكيرهم من جميع الوجوه، في الزيّ والهيئة والشعر والألوان ومواد التجميل، وكل شيء من شأنه أن يحوّل الناس إلى ألعوبة شيطانية قبيحة ضالة!

وينادون الشباب بعد ذلك إلى التحرر من القيم والأخلاق بطريقة خفية غير مباشرة، عن طريق وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة، ولا نسمع من الأدباء والمفكرين والنقاد وأدعياء العلم من يعترض على ذلك، وإنما يعترضون على حجاب المرأة المسلمة، وثوب الرجل المسلم ولحيته، ويعتبرون ذلك كله من (المظاهر التافهة التي لا يجب أن تشغل حيزاً من تفكير الشباب والشابات؛ لأن هناك من القضايا الكبرى التي تهم الأمة ما هو أهم من ذلك، خاصة وأن أعداء الإسلام محدقون به من كل جانب ـ على حد تعبيرهم ـ). . . فيا ليتهم وظفوا أقلامهم في الاعتراض على أولئك الذين يقلدون أعداء الإسلام، ويتشبهون بهم. . . ويا ليتهم انتقدوا أتباع

الموضة، والنظم الهدامة التي تفشّت في مجتمعاتنا الإسلامية، فمزقت أوصالها... ولو كان الزي الإسلامي مظهراً تافهاً، لما أوجبه الله تعالى، ولما تآمر عليه أعداء الإسلام فوضعوا المخططات الرهيبة من أجل القضاء عليه، ليتبع ذلك القضاء على حصانة المجتمع الإسلامي!

ولكن هؤلاء الأدباء والمفكرين والنقاد هم صنيعة أعداء الإسلام، يخدمون أفكارهم، ويروجون لمبادئهم، وفي المقابل يُدعمون مادياً ومعنوياً، فيصبحون من كبار المشاهير في يوم وليلة، وتُغدق عليهم الجوائز العالمية والمحلية والألقاب العظيمة، مما يُفتن به شبابنا، فيعتقدون أن هذه الشخصيات الهدامة هي شخصياتٌ مصلحةٌ بَنَّاءَةٌ، فتنقاد إليهم عقول شبابنا فيقعون في المصيدة التي أعدها لهم أعداء الله وأعدائهم!

وإن الذي يشجع شبابنا وشاباتنا على ذلك هو أن هؤلاء الأُدباء والمفكرين هم من أبناء جلدتنا، ويتكلمون بلساننا، فتعظم الثقة فيهم من حيث أنهم غير أهل لها.

وإن التخطيط القائم لإخراج المرأة المسلمة من خدرها، ونزع حجابها، والاختلاط بها ليس من قبيل العطف عليها ومساندتها ورفع قيمتها؛ بل هو لابتذالها وامتهانها والتمتع بها دون قيد أو شرط، فها هو (على سبيل المثال) نزار قباني الذي لقبوه «بشاعر المرأة» يتباهى في شعره بفتوحاته النسائية، وبفحولته في ارتكاب الفاحشة بالمرأة التي ينادي بتحريرها، ويُوقف نفسه للدفاع عنها كما يزعم الجهلاء... فيحارب التعاليم السماوية التي تحفظها من الدنس ويسخر بالفضائل والقيم، ولكن الله من ورائه ومن وراء أمثاله محيط، فإن المرء مهما أخفى واجتهد في إخفاء نيته القبيحة؛ فإنه لا يلبث أن يكشفها الله للناس بزلة لسان من صاحبها أو بإشارة أو ما يشبه ذلك.

ومهما تكن عند امرىء من خليقةٍ   وإن خالها تخفى على الناسِ تُعلمِ

فها هو نزار قباني «شاعر المرأة» يوضح لنا نيته الخبيثة من الدعوة إلى تحرير المرأة، ومحاربة حجابها، فيقول:

لـم تبـقَ زاوية بجسـم جميلة   إلا وقـد مرت بهـا عرباتي!
لـم يبـقَ نهـدٌ أبيضُ أو أحمرُ   إلا وقـد زُرعـت به راياتي!
فصّلـت من جسـد النسـاء عباءة   وبنيت أهرامـاً من الحلمات!(*)

فلتستيقظ النسوة المخدوعات به وبأمثاله، المغرر بهن لهدم عفتهن وحصانتهن تحت شعار «تحرير المرأة والدفاع عن حقوقها» أو بالأحرى «التغرير بالمرأة» لكي تصبح فريسة سهلة لكل من يشتهيها!

ولقد حوّل شياطين الإنس دلالات الألفاظ إلى الوجهة التي تخدم أهدافهم الدنيئة، وتزيد من الخبائث، وتخلع على المنكر ثوباً خدّاعاً ناعماً، فسموا الخمرة التي هي أم الخبائث (مشروباً روحياً)، وسموا الزنا (تعاطي الحب)، وما إلى ذلك من ألفاظ حتى ظن الشباب والشابات أن سوء الأدب الذي يقرؤونه (أدباً)، وأن الخلاعة والفجور والانحلال (فناً)، وأن الإجرام (بطولة)، وأن الإضلال والغواية التي تتمكن من مدمني سماع الأغاني الماجنة (طرباً)، وأن التبرج والتعري (موضة)، وأن البعد عن منهاج الله (تقدمية)، وأن اتّباع منهاج الله (رجعية)! حتى نفرَ الشباب من كل خير، واتّبعوا كل شر إلا من عصم الله ممن صفت قلوبهم، واستيقظت عقولهم، وسمت أرواحهم؛ فاعتصموا بحبل الله حتى حفظهم، وصرف عنهم الغواية والإفساد وقليل ما هم!

(*) أعتذر للقراء عن عرض هذه الأبيات التي تخدش الحياء، وما كنت أحب أن أعرضها أبداً، لولا أنني قصدت تنبيه المخدوعين بمثل هذا الشاعر، وكشف نواياه الخبيثة لمن يجهلها. والله من وراء القصد.

يقول الله تعالى :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

(سورة الأعراف : ١٤٦) .

امرأةٌ لِكلِّ الرِّجال

خرجت المرأة من بيتها إلى الطرقات والأسواق، وقد تزينت بأبهى زينتها، وارتدت أفخر ما عندها من ثياب، وتحلّت بما لديها من حُليّ، وصبغت وجهها بما قدرت عليه من أصباغ، وأرسلت شعرها على أجمل ما يكون، وتعطرت بعطرها النفاذ، وانتعلت من الأحذية ما يكفل لمشيتها التثني والتمايل والإغراء والإغواء.

لقد خرجت المرأة بهذه الكيفية ولسان حالها يقول: «ألا تنظرون إلى هذا الجمال؟ هل من راغب في القرب والوصال؟ إنها تعرض جمالها في أسواق الشوارع كما يعرض التاجر المتجول سلعة، وكما يعرض بائع الحلوى ما عنده مزيناً بالألوان الزاهية والأوراق اللامعة؛ ليسترعي الأنظار، ويغري النفوس، ويثير الشهية، فتروج بضاعته، ويكثر المشترون ويتهافت الطلاّب والجياع النهمون»[1]. إنَّ هذه المرأة التي تلاقت عليها الأنظار، وتهافتت عليها القلوب قد استمتع بمرآها كل رجل، وانجذبت لها شهواته الدفينة، فأصبحت ملكاً للجميع، فاستحقت أن تكون بذلك (امرأةً لكل الرجال)!

تقول السيدة نعمت صدقي:

(١) «التبرج» لنعمت صدقي (ص ٢٩).

«كيف تقبل المرأة الشريفة العفيفة عرض جمالها في السوق سلعة رخيصة تتداولها الأعين؟ وكيف يرضى لها حياؤها أن تكون مبعث إثارة شهوة في نفس رجل يراها؟ بل وكيف تطيق الشعور بأنه يصبو إليها ويتمناها؟ إنها لو فكرت في ذلك الأمر برهة لاحمرّت خجلاً، ولسترت جمالها وزينتها عن الأعين الشرهة الوقحة.

إن المؤمنة التقية يجب أن يدل مظهرها على مخبرها، يجب أن يسطع الإيمان في كل تصرفاتها وأحوالها، فتُعرف أنها من أهل القرآن بتنفيذها أوامر القرآن فيحترمها المؤمنون، ولا يؤذيها الفاسقون.

فبالله ماذا سترت نساء من يدعون الإسلام الآن من زينتهن التي أُمرن بسترها إذا كُنَّ هكذا عاريات الأذرع والسيقان والصدور، باديات النهود والأرداف والخصور، مصبوغات الوجوه والعيون والثغور، حاسرات الرؤوس، مسترسلات الشعور؟

ماذا تركت الشريفة لغيرها من فنون التبرج؟ وماذا أبقت لنفسها من ضروب الاحتشام؟ إنها لم تترك من ذلك ولم تُبْقِ شيئاً. فبالله أيتها السيدة المحترمة! أتستطيعين أن تفرِّقي ما بين الراقصة الخليعة الفاجرة وبين السيدة الشريفة الطاهرة؟

لذلك تطارد الذئاب الشريفة كغيرها إذ يظنونها صيداً وقنيصة؛ فتسمع وترى ما يخجلها ويؤذيها؛ لأنها تشبهت بمن لا كرامة ولا شرف لها، فضاعت عزتها، وظنوها سلعةً كبقية السلع، وعرّضت نفسها للمهانة والازدراء»[1].

لقد صان الله المرأة المسلمة عن هذا كله بأن فرض عليها الحجاب وبيّن الحكمة من ذلك في قوله تعالى:

---

(١) «التبرج» (ص ٢٩ ـ ٣١) باختصار.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٩).

حقاً يا رب! ﴿ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ ﴾.!

إن التزام المرأة المسلمة بالحجاب الذي فرضه الله عليها؛ هو الذي سيميزها عن غيرها من النساء إذ أن حجابها سيعلن للجميع أن صاحبته امرأة عفيفة شريفة حرة محصنة، فلا تتعرض لإيذاء الفساق، بل ترتد نفوسهم وألسنتهم وأيديهم عنها حسيرة خاسئة!

ولكن هل استجابت تلك المتبرجة إلى ما فيه خيرها وصلاحها وصيانتها؟... هل استجابت إلى أمر الله لها بالحجاب أمراً لا يضيّق عليها بل يحفظها ويصلحها ويقوّمها؟!

لقد أصمّت هذه المرأة أذنيها عن سماع الحق، وتناست التحذير الرباني الخالد:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٧).

ولقد قرأت قصة عن زوجة أمير، أبت أن تلبس ثوباً لها؛ لأنه وقع عليه بصر غير ذي محرمٍ منها؛ بالرغم من أنها لم تكن ترتديه عند وقوع بصره عليه، وكان ذلك الرجل هو خليفة المسلمين! إنها أميرةٌ مسلمةٌ بلغت منها العفة والفضيلة والشرف والإباء أن تحتجب احتجاباً تاماً عن الرجال فلا يراها رجل أجنبي... وعندما يرى رجل واحد هو فوق الشبهات والتهم هو الخليفة نفسه

ثوباً لها تأبى أن تضع على جسدها هذا الثوب . . . ! فما بالنا بمن وقعت على جسدها العيون فضلاً عن ثوبها؟!!

هذه القصة يرويها لنا الرحالة العربي المسلم محمد بن إبراهيم الشهير بابن بطوطة أثناء زيارته لبلخ(*) فيقول:

«ذكر لي بعض أهل التاريخ أن مسجد بلخ بنته امرأة كان زوجها أميراً على المدينة من قِبل بني العباس، وخلاصة ما حدث أن الخليفة غضب مرة على أهل بلخ لحادثٍ أحدثوه (فتنة فعلوها)، فبعث إليهم من يغرمهم مغرماً فادحاً، فلما بلغ موفَدُ الخليفة مدينة بلخ؛ أتى نساؤها وصبيانها إلى المرأة التي بنت المسجد، وهي زوجة أميرهم، وشكوا حالهم وما لحقهم من هذا المغرم، فبعثت إلى الأمير الذي جاء برسم تغريمهم بثوبٍ لها مرصّعٍ بالجواهر، قيمته أكثر مما أمر بتغريمه، فقالت له: اذهب بهذا الثوب إلى الخليفة، فقد أعطيته صدقةً عن أهل بلخ لضعف حالهم. فذهب الموفَد بالثوب إلى الخليفة، وألقاه بين يديه، وقصَّ عليه القصة، فخجل الخليفة وقال: ليست المرأة أكرم منّا. وأمره برفع الغُرم عن أهل بلخ، وبالعودة إليها ليردَّ إلى المرأة ثوبها، وأسقط عن سكان هذه المدينة خراج سنة.

عاد الأمير إلى بلخ، وأتى منزل المرأة، وقصَّ عليها مقالة الخليفة، وردَّ إليها الثوب، فقالت له: أوقع بصر الخليفة على هذا الثوب؟ قال: نعم. قالت: لا ألبس ثوباً أبصره غير ذي محرم مني! وأمرت ببيعه، فبُني منه المسجد والزاوية، ورباطٌ في مقابلته، وفضل (أي زاد) من ثمن الثوب مقدار ثلثه، فأمرت المرأة بدفنه تحت بعض سواري (أعمدة) المسجد ليكون

(*) «بلخ»: مدينة كانت ذات شأن في العصور القديمة والوسطى وهي الآن مجرد قرية صغيرة في أفغانستان بعد أن كانت عاصمة لمقاطعة خراسان في عهد ابن عبدالله القسري سنة ٧٢٥ م.

هناك متيسِّراً إن احتيج إليه أُخرج»[1].

ترى ماذا كانت ستقول هذه الأميرةُ العفيفةُ الحرةُ الأَبِيَّةُ لو رأت نساء المسلمين كاسيات عاريات تقع عليهن الأعين جسداً وثوباً؟! ترى بماذا كانت ستصفهن؟ هل كانت ستصدق أنها ترى نساء مسلمات حقاً؟ أم ستظن أنها ترى نساء الشياطين؟! فأين الشرف؟ أين العفاف والفضيلة؟ أين أجد المرأة الحرة الأصيلة؟ أين أجد تلك التي تصون أثوابها الجميلة المزينة عن أبصار غير محارمها؟ أين أجد تلك التي تأبى عليها كرامتها وعزتها وشرفها أن تبدي جسدها لتزني فيه عيون الفاسقين وتتألم لمرآه عيون المؤمنين الصادقين؟ أين أجد الرجل الشريف الذي تأبى عليه رجولته ونخوته وكرامته أن يترك زوجته وذوات محارمه نهباً للعيون؟ بل أين أجد الرجل الذي لا يغضب عند تذكيره بذلك الواجب الهام تجاه أهله؟

إني لأذكر حادثة وقعت في بلدتنا (المحافظة على بعض تقاليد ستر المرأة) وهي أن أحد الفضلاء نهى متبرجة عن فعلها الذي سيكون قدوة سيئة لغيرها، فأمرها أن تستر زينتها وتغطي شعرها، ومن الجدير بالذكر أن هذه المتبرجة كانت تشغل مركزاً حساساً؛ إذ أنها تعمل معلمة في مدرسة ثانوية للبنات، كما أنها كانت تختلط بالرجال، وتخرج مع بعضهم للنزهة أحياناً ـ خلاصة القول؛ أنه عندما طلب منها ذلك الرجل الفاضل أن تستر عوراتها؛ غضبت وغضب لغضبها والدها، فأقام الدنيا ضد هذا الرجل، وقال له أمام الملإ من القوم: «إن ابنتي تخرج شريفة وتدخل شريفة ولا شأن لك بها»!!!

لقد أخذت هذا الرجل العزة بالإثم فحقَّ عليه قول الله عزَّ وجل:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ

(١) «ابن بطوطة رحالة العرب» (ص ١٠٠، ١٠١).

ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ (سورة البقرة: ٢٠٦).

تُرى كيف بالله تكون ابنته وأمثالها شريفات وهن متبرجات خليعات...؟ وكيف بالله انحدر تفكير الناس إلى هذا الدرك الوضيع؛ فسمحوا للمرأة بأن ترتدي ما تشاء بشرط أن تظل محافظة على عذريتها؟!

إن مفهوم العفة والفضيلة ليس في الاحتفاظ بالعذرية إلى ليلة الزفاف؛ ليعلم الزوج أن من تزوجها عفيفةٌ فحسب! وإنما العفة والفضيلة تكونان بستر الجسد عن العيون الجائعة النهمة، التي تدنس كل جزء مكشوف منه، فتحدث فيه الزنا بمجرد النظر إليه حتى دون أن تقربه باللمس، فقد روى أبو داود والترمذي عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا» وكذا يعني زانية.

المقصود من الحديث أن كل عين نظرت إلى غير حلالها أو محارمها تعتبر زانية، وبالمثل إذا تعطرت المرأة أو تبخرت فشم رائحتها غير زوجها أو محارمها تعتبر زانية!

وأثبت الحافظ ابن كثير في «تفسيره»: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقيته امرأة شمَّ منها ريح الطيب، ولذيلها إعصار فقال: يا أمة الجبار! جئتِ من المسجد؟ قالت: نعم. قال لها: تطيبتِ؟ قالت: نعم. قال: إني سمعت حِبِّي أبا القاسم ﷺ يقول: «لا يقبل الله صلاة امرأة طيبت لهذا المسجد حتى ترجع، فتغتسل غسلها من الجنابة» رواه أبو داود وابن ماجه[1].

هذه المرأة المذكورة في الحديث الشريف الأخير كانت قد خرجت متطيبة (متعطرة أو متبخرة) إلى المسجد، فكان لها هذا النهي الرهيب، فما

---

(١) «تفسير ابن كثير» (جـ ٣ ص ٢٨٦).

بالنا بمن خرجت متطيبة تجوب الشوارع ، أو النوادي للنزهة ، وترتـاد دور السينما والمسارح للتسلية ، وتنشر إغرائها في أماكن العمل؟!

ولا يفوتني أن أنبه إلى أنني رأيت في بعض البـلاد الإسـلامية التـي زرتها عادة ذميمة مستحكمة هناك ، وهي أنه عندما يتزاور النساء لبعضهن ، تقوم صاحبة المنزل بتعطير ضيفتها ، أو تبخيرها إكراماً لها ، أثناء وعند انتهـاء الـزيارة ، وتفعل النساء عموماً بأنفسهـن نفس الشـيء إذا أرادت إحداهـن الخـروج لزيارة أحد. . . ويعتبِرْنَ أن المرأة التي لا تعطر ضيفتها أو تبخرها، امرأة بخيلة ، ولا تحب زيارة الناس لها ، بل ويعتبرْنَها عديمة الذوق ؛ فينفرْنَ منها ، فيجب التنبه إلى حرمة ذلك الفعل ، وضرورة الإقلاع عن تلك العادة السيئة ، وعدم الاهتمام بأقاويل الناس على من تمتنع عن تعطير ضيفاتها وتبخيرهن ؛ لأنه من التمس رضا الله في سخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه النـاس ، ومـن التمس سخط الله في رضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ، ولو بعد حين .

ومن المستحسن ، أن تعتذر صاحبة المنزل لضيفاتها عن عدم تبخيرهن أو تعطيرهن لخوفها عليهن من حرمة ذلك العمل ، وتوجههن إلى أنه لا يجوز أن يشم طيب المرأة من الرجال إلا زوجها أو محارمها ، فتكسب بذلك الأجر والمثوبة ، لأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ، وفي الوقت نفسه قد يشكرها ضيفاتها على حرصها عليهن من الوقوع في الإثم ، كما تكون بذلك قد تجنبت أقاويلهن السيئة عنها ؛ لأن معنى الأمر برجوع المرأة المتطيبة لتغتسل غسلها من الجنابة (كما ورد في الحديث النبوي الشريف) هو بيان أن تطيّب المرأة ثم خروجها بعد ذلك ؛ ليشمها من تلقى في طريقها من الرجال ؛ أدى إلـى اعتبارها في حكم الزانية ؛ لأنها سمحت للرجال بالتمتع برائحتها حتى ولو لم تكن تنوي ذلك ، وإذا كان هذا هو الحال مع امرأة صحابية مسلمة متحجبة متعطرة للمسجد، فما هو رأي المتطيبـات لغير ذلك في أنفسهـن؟ وبمـاذا

سيصفن فعلهن الذميم هذا بأكثر مما وصفه رسول الله ﷺ ؟

وإنه مما يثير العجب والدهشة؛ أن نجد بين الناس بعد ذلك من يقيّم المتبرجات بتلك العذرية، التي قد تُخلق إحدى الفتيات الطاهرات بغيرها كما ثبت ذلك طبياً، وقد تجد بعض الفاجرات من يزوّرها ويلفقها لها من الأطباء بعملية جراحية بسيطة! فكيف بالله تُميز العفيفة الطائعة المحافظة من المتهتكة المزوَّرة إلا بالحجاب، والتخلق بالأخلاق الفاضلة؟

ولقد صوّرت هذا الأمر في قصيدة لي(*) أقول فيها:

لا تصفي السترَ برجعيه ... فالحجبُ شعارُ النبويّه[١]
أجَهِلْتِ الخُطَطَ المرسومه ... لتدمِّرَ طُهْرَ العربيّه
أيُقال عِمَادُكِ عِفَّتُكِ؟ ... وَاعجباً كَمْ أنتِ غبيّه!
العفةُ باتَتْ للطبِّ ... يَصْنَعُهَا بئسَ العمليّه!
كاسيةٌ عاريةٌ أنتِ ... ويُقالُ لقدْ عشتِ تَقِيَّه؟!
لفّي أطلالك وانتبهي ... أجزاؤك صارت منسيّه
وصفوها رُغْمَ زَخارِفِهَا ... أشياء دونَ العاديّه[٢]
وتكابرُ... ها هو ينظر لي ... يتردَّى والعينُ شقيّه!
لفي أطلالكِ وانتبهي ... فالعفة ليست نظريّه!
الطهر يكون تحجبكِ، ... أخلاقٌ تسبقها النيّه
عودي لحيائِكِ ما أَحْلَى ... عودَكِ للدربِ المرضيّه

(*) هذه القصيدة من ضمن ديوان شعر للمؤلفة أطلقت عليه اسم «هموم امرأة فلسطينية».

(١) شعار النبوية: أي علامة اتباع السنة أو الشريعة النبوية.

(٢) هنا إشارة لقول الجهلاء بأن التبرج أمر عادي لا يلفت النظر.

التبرج في ميزان الشرع

معنى التبرج :

ورد في «لسان العرب» عن معنى التبرج ما يلي :

«التبرج : إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال ، وتبرجت المرأة : أظهرت وجهها ، وإذا أبدت المرأة محاسن جيدها ووجهها ؛ قيل : تبرجت ، وترى مع ذلك في عينيها حسن نظر (أي تنظر نظرة إغراء وإغواء) كقول ابن عربي في الجنيد بن عبد الرحمٰن يهجوه :

يبغض من عينيك تبريجها وصورة في جسدٍ فاسد

وقال أبو إسحاق في قوله تعالى : ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ :

التبرج : إظهار الزينة وما يُسْتَدعى به شهوة الرجل ، وقيل : إنهن كنَّ يتكسرن في مشيهن ويتبخترن .

وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ :

ذلك في زمن وُلد فيه إبراهيم النبي عليه السلام كانت المرأة إذ ذاك تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين ، ويُقال : كانت تلبس الثياب سلع المال ، لا تواري جسدها ، فأُمرن أن لا يفعلن ذلك .

وفي الحديث كان يكره عشر خلال؛ منها: التبرج بالزينة لغير محلها. والتبرج: إظهار الزينة للناس الأجانب، وهو المذموم، فأما الزوج فلا ـ وهو معنى قوله: لغير محلها»[1].

والخلاصة؛ أن التبرج هو: إظهار المرأة لأعضاءٍ من جسدها، أو لزينتها من حلى وغيره، أو بتمايلها في مشيتها وحركاتها، أو إبراز محاسنها بأي شكل من الأشكال، وكذلك إبراز محاسن ثيابها، وذلك كله لغير زوجها أو ذوي محارمها.

والتبرج في المرأة هو عنوان فسادها وبعدها عن دينها.

مواضع ذكر التبرج في القرآن الكريم:

ورد ذكر التبرج في القرآن الكريم في موضعين؛ كلاهما موضع نهي:

الموضع الأول: في قوله تعالى:

﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ (سورة النور: ٦٠).

في هذه الآية الكريمة يعطي الحق جلَّ شأنه رخصة للقواعد من النساء بأنه يجوز لهن عدم ارتداء الجلباب.

يقول صاحب كتاب «التسهيل»:

«معنى القواعد: جمع قاعد، وهي العجوز، فقيل: هي التي قعدت عن الولد، وقيل: التي قعدت عن التصرف، وقيل: التي إذا رأيتها استقذرتها.

(١) «لسان العرب» لابن منظور (جـ ٣ ـ ص ٣٣).

﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ .

أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يبح لغيرهن من وضع الثياب ، قال ابن مسعود : إنما أُبيح لهن وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء»[1] .

ويقول الأمير الصنعاني : «وقد أجمع المسلمون ـ كما نقله الموزعي ـ على أنه لا يجوز للقواعد أن يضعن الثياب عما عدى الوجه واليدين ، وهذا يدل على أن الجُناح باق في غير القواعد فلا يُباح لهن كشف الوجه واليدين للأجانب»[2] .

والمعروف أن الجلباب هو ما غطى جميع جسم المرأة ، فقد أباح الله تعالى للعجوز التي لا تثير شهوة الرجال لكبر سنها وعجزها عدم ارتدائه ، واشترط عليها عدم التبرج بالزينة ، بل بيّن لها أن الستر أفضل ، إن هذه الرخصة في وضع الجلباب (أي عدم ارتدائه) ليست إلا للنسوة العجائز اللاتي لم يعدن يرغبن في التزين ، وانعدمت فيهن الغرائز الجنسية .

فلتتأمل المتبرجة كيف أن الله تعالى لم يبح لأي صنف من النساء كشف وجوههن إلا للقواعد اللاتي لم يعد يرغب فيهن الرجال لكبرهن؟ ومع أن الله تعالى سمح لهن بذلك إلا أنه نبّه عليهن بأن التغطية خيرٌ لهن ، بالإضافة إلى أن الله تعالى قيّد كشف وجوههن بشرط أساسي هو عدم التبرج . . ! فبالله ماذا تتصور المتبرجة أن يفعل الله المنتقم الجبار بها وهي التي في ريعان شبابها تخرج متبرجة كاسية عارية تؤجج نيران الفتنة والغواية؟ ألا تستحي من نفسها وهي تسمع أمر الله للعجائز اللاتي لا تهفو إليهن نفس رجل بعدم التبرج ، رغم أن تبرجهن لا يجدي فتيلاً ، وذلك منعاً للغواية وصيانة للمرأة؟!

الموضع الثاني : في قوله تعالى :

(١) «التسهيل لعلوم التنزيل» للكلبي (جـ ٣ ـ ص ٧٢) .
(٢) «حاشية الأمير» (منحة الغفار على ضوء النهار) (جـ ٤ ـ ص ٢٠١١ ، ٢٠١٢) .

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ . (سورة الأحزاب : ٣٣) .

يقول صاحب كتاب «التسهيل» مفسراً لتلك الآية : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ ﴾ : «التبرج : إظهار الزينة . ﴿ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ : أي مثل ما كانت نساء الجاهلية يفعلن من الانكشاف والتعرض للنظر»[1] .

وروى الطبري أن «معنى التبرج : التبختر. وقال : حدثنا بشر قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد عن قتادة :

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ :

أي إذا خرجتن من بيوتكن ، قال : كانت لهن مشية وتكسر وتغنج ـ يعني بذلك في الجاهلية الأولى ـ فنهاهن الله عن ذلك»[2] .

ويقول أبو عبدالله القرطبي : «إن المقصود من الآية مخالفة من قبلهن من المشية على تغنيج وتكسير وإظهار المحاسن للرجال ، إلى غير ذلك مما لا يجوز شرعاً ، فيلزمن البيوت فإن مسّت الحاجة إلى الخروج ؛ فليكن على تسترٍ تامٍّ»[3] .

تحريم التبرج في السنة النبوية المطهرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساءٌ كاسياتٌ عاريات مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها

---

(١) «التسهيل لعلوم التنزيل» للكلبي (جـ ٣ ص ١٣٧) .
(٢) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» للطبري (جـ ٤ ص ٢٢) .
(٣) «تفسير القرطبي» (جـ ١٤ ص ١٨٠) .

ليوجد من مسيرة كذا وكذا» رواه مسلم .

وفي رواية : «من مسيرة خمسمائة عام» .

يقول الإمام النووي : «معنى (كاسيات) : أي من نعمة الله . (عاريات) : من شكرها ، وقيل : معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها ونحوه ، وقيل : تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها . ومعنى (مائلات) : قيل : عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه . (مميلات) : أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم . وقيل : (مائلات) : يمشين متبخترات . (مميلات) : لأكتافهن . (رؤوسهن كأسنمة البخت) : أي يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها»[1] .

إنهن نساء كساهن الله بنعمته ، فوهبهن الجسد المتناسق ، والتركيب الجميل ، والهيئة الحسنة فكفرن تلك النعمة ، وأبين أن يضعنها في موضعها الصحيح ، وغفلن عن أن الله تعالى الذي وهبهن إياها ؛ يقدر على سلبها متى شاء ، وكيفما يشاء سبحانه ! !

إنهن حقاً نساء كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها !

إن هذا الصنف الثاني من أهل النار ، والذي لم يره رسول الله ﷺ في زمانه ، قد ظهر جلياً واضحاً في زماننا هذا ، فقد خرجت النساء بالملابس القصيرة ، فأصبحن كاسيات عاريات ، تبدو من أجسادهن أجزاء وتخفى أجزاء ، هذا إلى جانب ارتدائهن للملابس الشفافة الرقيقة ، التي يبدو من تحتها حجم وشكل الجسد ، بل وحتى لونه أحياناً ، كما أنهن يلبسن ملابس تصف حجم أعضائهن وتحددها ؛ من خصر وصدر وبطن ، إلى غير ذلك مما يبدو حجمه واضحاً مما تلبسه من ثياب .

---

(١) «رياض الصالحين» للإمام النووي - (باب تحريم تشبه الرجال بالنساء ص ٥٨١ ، ٥٨٢) .

وهؤلاء النسوة فاسدات مفسدات تقتدي بهن الباقيات، كما أنهن يمشين متمايلات متبخترات في غنج ودلال زيادة في الإغراء، تتمايل أجسادهن وأكتافهن، بينما تلف إحداهن رأسها إن لفّته بما يشبه العمائم أو العصائب؛ لتعطي لشعرها مظهراً يكبّر من رأسها ويعظِّم من مرآه.

وقد وردت أحاديث أخرى تدور حول نفس المعنى؛ لتدل على أن هذا الفعل ـ وهو التبرج ـ من كبائر الذنوب (لأن الكبيرة هي كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما)، وقد ورد في الحديث السابق أن هذا الفعل يستوجب الحرمان من الجنة، بل وحتى من شمِّ رائحتها التي تُشمُّ من مسيرة خمسمائة عام!

كما ورد في الحديث التالي لعن هذا الصنف من النساء (عافانا الله وإياكم من أن نكون منهن)...

فقد روى أحمد والطبراني في «الثلاثة»(*) عن عبدالله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على سروج كأشباه الرحال، ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات، على رؤوسهن كأسنمة البخت، العنوهن فإنهن ملعونات»[1]، «لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدم نساؤكم نساءهم كما خدمتكم نساء الأمم من قبلكم»[1]. ورجال أحمد رجال الصحيح إلا أن الطبراني قال: «سيكون في أمتي رجال يركب نساؤهم على سروج كأشباه الرحال»[2]، وعن أبي شقرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم اللاتي ألقين على رؤوسهن مثل أسنمة البقر فأعلموهن أنه لا تُقبل لهن صلاة». رواه الطبراني والبزار وفيه حماد بن يزيد عن مخلد بن

(*) أي في كتبه الثلاثة: «الكبير» و «الأوسط» و «الصغير».

(١) (٢) «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للهيثمي (جـ ٥ ـ ص ١٣٦، ١٣٧ باب كسوة النساء).

عقبة، ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات[1].

إن هذا الصنف السالف الذكر من النساء لم يكن موجوداً في زمن رسول الله ﷺ، الذي بشّرنا بصفة هؤلاء النسوة، اللاتي ظهرن في زماننا، أي بعد أربعة عشر قرناً من الزمان مما يدل على صدق نبوة محمد ﷺ للمتشككين في ذلك الأمر.

وإن في هذا البلاغ إعجازٌ أيّد الله به رسوله بعد مرور تلك القرون المتعاقبة والأجيال المتلاحقة، فحقٌ على من يستمع لهذا الحديث أن يزداد صلة بالله، وبكتابه، وبسنة نبيه ﷺ الذي بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين.

وإن هذا النوع من النساء يمكن تصنيفه إلى ثلاثة أقسام:

تصنيف المتبرجات

القسم الأول: نساء متبرجات فاسدات بعيدات عن شرع الله.

القسم الثاني: نساء متدينات صالحات أخطأن في الطريق للحجاب الشرعي الصحيح.

وقد يتملك القراء أو القارئات الدهشة وهم يقرؤون تعريف القسم الثاني، كيف يكون؟ وكيف قرنته بالقسم الأول؟ ولكن سرعان ما سيزول العجب بعد أن نرى جميعاً بيان ذلك الأمر فيما بعد.

القسم الثالث: المتحجبات المزيفات.

---

(١) نفس المصدر السابق.

القسم الأول من المتبرجات
النساء المتبرجات البعيدات عن شرع الله

وهنَّ النساء اللاتي وردت أوصافهن فيما ذكرناه من أدلة القرآن والسنة وتفسيراتها كما سبق: «نساء كاسيات عاريات... مميلات مائلات... رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة»... نساءٌ متبرجات تبرج الجاهلية الأولى! جاهلية الكفر والفجور والأوثان فيما قبل الإسلام، وفي مختلف الأمم اليونانية والفارسية والرومانية والعربية، وغير ذلك. حيث كانت المرأة مجرد متاع مستباح للرجال ليس لها حرمة ولا حتى قيمة تُذكر، في مجتمعات آسنة منهارة، مهترئة، قضت عليها الرذيلة، ومزقتها الإباحية شر ممزق!

وكأن الله تعالى عنى بكلمة ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾:

أنه ستكون هناك جاهليات: ثانية، وثالثة، ورابعة، وخامسة... إلخ، وقد تعددت الجاهليات على أمة الإسلام عبر التاريخ؛ بانصرافها التدريجي عن نهج الله، وها هن غالبية نساء المسلمين اليوم قد تبرجن تبرج الجاهلية الأولى بالفعل، إعادة للحالة المزرية التي سبقت ظهور الإسلام... ها هُنَّ قد عُدن بنا إلى الوراء القبيح، هؤلاء هن الرجعيات حقاً، لا ما عليه المتحجبات الحقيقيات من التزام بأوامر الله، إنهن السادرات في الغي، المسرفات على أنفسهن بالمعاصي، إنهن اللاتي كوّنت هيئاتهن الجاهلية الحديثة، وصُنعت من أجسادهن أوثانها...! إنهن

غافلات. . . مغموسات في الإثم غمساً. . . وإلى جانب ذلك فإنهن غير مباليات بصنيعهن، لقد احتالت عليهن شياطين الإنس والجن؛ ليتلوثن تحت ستار كاذب وسراب خدّاع اسمه التقدم والحضارة وتحرير المرأة، بينما كان الهدف الحقيقي هو جعل المرأة متاعاً مشاعاً يجده الرجل إلى جانبه ويمتع نفسه بمرآه (على أقل تقدير) في الشارع، والمقهى، والملهى، وعند شواطىء البحار، وفي المنتديات، والمكاتب، وأماكن العمل، والمتنزهات، وفي كل مكان!

وسقطت المرأة المسلمة؛ لتسقط بسقوطها حضارة الإسلام العظيمة، وتغيب عن الوجود شمسها المشرقة، وها هي اليوم مجتمعاتنا الإسلامية تعيش أتعس أيامها من تردي وتمزق وفرقة وخلاف وجحود وتأخر، حتى أصبحت دولاً متخلفة تعيش على فتات ونفايات الأعداء!

ولنعد إلى ذكر صفات هؤلاء النسوة وأفعالهن الشيطانية المزرية. إننا نجد إحداهن إلى جانب ما تفعله من تبرج وابتذال قد تذهب إلى الكوافير (وهو رجل يقوم بتزيين شعر المرأة ووجهها) فتراه يلمس شعرها، ويتحسس وجهها، ويديره بين يديه فبماذا يمكن أن نميزها عن أي امرأة بغي تتقلب في أيدي الرجال وتبيع جسدها بالمال؟ بل إن هذه ويا للأسف! تدفع المال للرجل كي يتحسسها. . . فوا إسلاماه!

وإن هناك بعض الفتيات ممن لم يلمسهن رجل من قبل، تأتي إحداهن في ليلة زفافها ـ فيأبى عليها جهلها إلا أن تذهب للكوافير ليتحسسها قبل أن يلمسها الزوج التعيس الذي فقد مروءته ورجولته وغيرته، فيذهب إليها ليتسلمها من عنده، وهو يشعر بالسعادة والفخر، بينما لو فكر في الأمر برهة، أو استشعرت نفسه شيئاً من الشرف والرجولة والعفة والإباء، لأبى أن يقترن بتلك التي سمحت لنفسها بتقليد المومسات الرخيصات، ولفضّل أن يظل

أعزب مدى حياته إن لم يجد امرأة شريفة صالحة لا تتصرف بمثل هذا التصرف المشين!

كما أن بعضهن يتجاوزن ذلك الأمر المخزي إلى ما هو أشد منه؛ فيذهبن إلى أماكن متخصصة لتخسيس النساء حيث يكشفن عن أجزاء حسّاسة من أجسادهن، ليقوم رجال متخصصون بإزالة الشحوم الزائدة من تلك الأماكن بالتدليك، أو باستعمال وسائل أخرى آلية، بالإضافة إلى إزالة الشعر من الجسم بواسطة الكهرباء. . . !

إنَّ تلك المعاصي فاقت معصية التبرج نفسها، وإن القلم ليعجز عن جمع ما تستحقه هؤلاء النسوة المذكورات من صفات!

ولأترك لأي شريف من الشرفاء تصور ما ينبغي أن أعبر عنه من كلام بشأنهن ويكفي أن هذا اللمس يُعتبر من قبيل الزنا، فقد وقعت أيدي هؤلاء الرجال المذكورين على أول باب من أبواب الزنا بأجساد هؤلاء النسوة بمجرد لمسهن، فقد روى الشيخان وأصحاب السنن وأحمد واللفظ لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدركٌ ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويُصَدِّق ذلك الفرج ويكذبه».

قال الإمام النووي رحمه الله:

«معنى الحديث: أن ابن آدم قُدِّر عليه نصيب من الزنا، فمنهم ما يكون زناه حقيقياً بإدخال الفرج في الفرج الحرام، ومنهم من يكون زناه مجازاً بالنظر الحرام، أو الاستماع إلى الزنا وما يتعلق بتحصيله، أو بالمس باليد بأن يمس أجنبية بيده أو يقبِّلها، أو بالمشي بالرجل إلى الزنا، أو النظر أو

اللمس أو الحديث الحرام مع أجنبية ، ونحو ذلك ، أو بالفكر بالقلب»[١] .

وقد ورد الوعيد الشديد فيمن يمس امرأة لا تحل له ، عن معقل بن يسار مرفوعاً : «لأن يُطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير من أن يمس امرأة لا تحل له» . والحديث قال المنذري في الترغيب : «رواه الطبراني والبيهقي ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح» .

ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ كان يصافح الرجال في المبايعة ، ولكنه لم يكن يفعل ذلك في مبايعة النساء ، وهو المعصوم الذي لا يشك في نزاهته وطهارته وسلامة قلبه أحد ، وبالرغم من أن المبايعة لها شأن عظيم في الإسلام ، وما ذلك إلا لحرمة مسِّ الأجنبيات ، فليعتبر من استحل لنفسه مصافحة النساء ومسهن ، ومن أباحت لنفسها ذلك الفعل الذميم .

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ما يثبت ذلك فقال : حدثني إسحاق : حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد : حدثنا ابن أخي ابن شهاب عن عمه : أخبرني عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ : أخبرته «أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

قال عروة : قالت عائشة : فمن أقرَّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ : قد بايعتك ، كلاماً ، ولا والله ما مست يَدُهُ يَدَ امرأةٍ قط في المبايعة ، ما يبايعهن إلا بقوله : قد بايعتك على ذلك»[٢] .

وحدثنا محمود : حدثنا عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن الزهري عن

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للإمام النووي (جـ ١٦ ص ٢٠٦) .

(٢) من «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (المجلد الثامن ص ٦٣٦) .

عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية:

﴿لَا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾.

قالت: وما مسّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها»[١].

يقول الحافظ ابن حجر:

«قوله: (قد بايعتك، كلاماً) أي يقول ذلك كلاماً فقط لا مصافحة باليد كما جرت العادة بمصافحة الرجال عند المبايعة».

ويقول الشنقيطي: «المرأة كلها عورة يجب عليها أن تحتجب، وإنما أُمر بغض البصر خوف الوقوع في الفتنة، ولا شك أن مسَّ البدن للبدن أقوى في إثارة الغريزة، وأقوى داعياً إلى الفتنة من النظر بالعين، وكل منصف يعلم صحة ذلك»[٢].

ثم إن الكثير من المتبرجات لا يتورعن عن الاختلاط بالرجال؛ بدعوى الصداقة أو الحرية أو الزمالة أو الحب! مع أنه يحرم على الرجال الدخول على النساء قطعياً إلا في وجود محرم، وذلك في حالة الضرورة[*]، أما الخلوة بهن فهي حرام شرعاً، وتتأكد الحرمة على قريب الزوج، مثل: أخيه، وعمه، وخاله، وابن عمه، وابن خاله، ومن يجوز لها التزوج منه لو كانت غير متزوجة من سائر الرجال، وجاء التأكيد على حرمة ذلك بالنسبة لقريب الزوج؛ لأنه قد جرت العادة بين الناس على التساهل في ذلك بدون وجود

---

(١) المصدر السابق - (المجلد الثالث عشر - باب بيعة النساء).

(٢) «أضواء البيان» للشنقيطي (جـ ٦ ص ٦٠٣).

(*) حالات الضرورة مثل الحاجة إلى العلاج، أو الإدلاء بالشهادة في المحكمة، أو الخطبة، وما يشبه ذلك من الضروريات.

المحرم، فما بالنا بمن تختلط بهن المتبرجة من سائر الرجال لتجمع إلى معصية التبرج معاصي أخرى مهلكة!

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء»! فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت»! متفق عليه. والحمو: (قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وابن أخته وابن عمه وابن خاله، ونحوهم مما يحل لها تزوجه لو لم تكن متزوجة).

ذكر صاحب «فيض القدير»:

«(إياكم والدخول) هو تنبيه المخاطب على محذور ليتحرز منه؛ أي: اتقوا الدخول (على النساء) ودخول النساء عليكم، وتضمن منع الدخول منع الخلوة بالأجنبية بالأولى، والنهي ظاهر العلة والقصد به غير ذوات المحارم، وقوله: (الحمو الموت) أي: دخوله على زوجة أخيه يشبه الموت في الاستقباح والمفسدة، فهو محرم شديد التحريم، وإنما بالغ في الزجر بتشبيه الموت؛ لتسامح الناس في ذلك، حتى كأنه غير أجنبي عن المرأة، وذلك كقولهم: «الأسد الموت» أي: لقاؤه يفضي إليه، وكذا دخول الحمو عليها يفضي إلى موت الدين، أو إلى موتها بطلاقها عند غيرة الزوج، أو برجمها إن زنت معه»[1].

ويقول الشنقيطي معلقاً على قوله ﷺ: «الحمو الموت» في الحديث السابق ذكره:

«سمّى ﷺ دخول قريب الرجل على امرأته ـ وهو غير محرم لها ـ باسم الموت، ولا شك أن تلك العبارة هي أبلغ عبارات التحذير، لأن الموت هو

---

(١) «فيض القدير» للمناوي (الجزء الأول ـ ص ١٢٤).

أفظع حادث يأتي على الإنسان في الدنيا كما قال الشاعر:

والموت أعظم حادث مما يمر على الجبلة»[1]

الجبلة: الخلق.

فكيف بالله استباح الرجال والنساء الاختلاط حتى لكأنه أمر عادي مألوف؟ بل ونجد الرجل يسمح لأمه ولأخته بمجالسة أصدقائه واستقبالهم، كما يسمح لزوجته وابنته بذلك، ويكنَّ في الغالب متبرجات، كما يحدث تبادل النظرات، والملامسات بالمصافحة، ونحوها. بل وتبادل الضحكات والغمزات أحياناً، فهل هذه أخلاق الإسلام يا رجال ونساء الإسلام! المحسوبين عليه كماً وعدداً؟! وليت الأمر يقتصر على ذلك! بل نجد هؤلاء القوم يخرجون للنزهة نساءً ورجالاً، وكأنهم أسرة واحدة ليس بينها حرمة، كما نجد المرأة من هؤلاء تسمح للرجل الأجنبي أن يراقصها في الحفلات والملاهي، فيحتضن جسدها، وتلتصق الأعضاء بمرأى ومسمع من زوجها الخبيث الذي لا يبالي بذلك!

إن الاختلاط محذور شرعاً حتى في المساجد التي هي دور للعبادة، فقد أمر رسول الله ﷺ ألا تقف النساء مع الرجال في الصف للصلاة، بل يقفن وحدهن بعيداً عن الرجال، يفصل بينهم الصبيان، بل وبيّن رسول الله ﷺ أن خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وأن خير صفوف النساء في المسجد آخرها، وشرها أولها زيادة في الحيطة والحذر من آفات الاختلاط في حالة الصلاة، فما بالنا ببقية الحالات؟!

كما روى أبو داود عن حمزة بن أبي أسيد الأنصاري عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق

---

(١) «أضواء البيان» للشنقيطي (جـ ٦ ـ ص ٥٩٣).

فقال رسول الله ﷺ للنساء: «استأخرن، فإنه ليس لكن أن تَحْقُقْنَ الطريق، عليكن بحافات الطريق» فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به[1]. ومن المتبرجات من ترتدي البنطلونات متشبهة بالرجال وهذا فعل يستوجب اللعن (وهو الطرد من رحمة الله) كما ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ لعن الرجل يلبس لُبس المرأة، والمرأة تلبس لُبْسَ الرجل» رواه أحمد وأبو داود، ويعلق الشوكاني على هذا الحديث بقوله:

«والحديث يدل على تحريم تشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء؛ لأن اللعن لا يكون إلا على فعل محرم، وإليه ذهب الجمهور»[2].

كما تقوم المتبرجة بالخروج متعطرة في أغلب الأحيان، وتتعرض لنظر الرجال إليها، وكل ذلك من الأفعال المحرمة، وسبق ذكر ذلك في الفصل الثالث من هذا البحث فيُرجع إليه.

وبذلك كله نرى أن معصية التبرج لها في ميزان الآثام ثقلٌ كبير، وبها تسقط المرأة في براثن الشيطان الخفي؛ لتصبح شيطانة ظاهرة للعيون تفوق في فسادها وإفسادها ما يفعله الشيطان بأتباعه، وكأن لسان حالها يردد قول القائل:

وكنت امرأ من جند إبليس فارتقى ... بي الدهر حتى صار إبليس من جندي
فلو مات قبلي كنت أُحسنُ بعده ... طرائق فسقٍ ليس يحسنها بعدي!!

إن معصية التبرج ليست معصية فردية بل هي معصية جماعية، تشترك فيها المتبرجة مع أُولي أمرها الذين يسمحون لها بذلك، ولا يمنعونها،

---

(١) «سنن أبو داود» (جـ ٤ ـ ص ٣٦٩).
(٢) «نيل الأوطار للشوكاني» (الجزء الثاني ـ ص ١٣١).

ويشترك فيها أفراد المجتمع الذين لا يبالون بزجر المتبرجة وردها عن غيها، لذلك فقد استحقت تلك المتبرجة اللعن والحرمان من الجنة، بل وحتى من شم رائحتها، واستحق ولي أمرها لقب الديوث، وهو الذي لا يبالي بفساد أهله، بالإضافة إلى أنه مسؤول ومحاسب أمام الله تعالى على سوء تربيته، وعدم عنايته بصلاح وإصلاح زوجته أو ابنته أو ذوات محارمه المتبرجات، ومشترك معهن في الوزر، لأن الرضا بالمعصية معصية في حد ذاته، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثة قد حرَّم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والديوث الذي يُقر الخبث في أهله»[1]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ، ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته». متفق عليه.

أين هذه الرعاية لأهلك أيها الرجل؟ إنني أراك قد ضيّعت الأمانة التي وُكِّلت بحفظها، وكثرت حججك وأعذارك الواهية بأنك، لا تستطيع أن تضغط على زوجتك (مثلاً) فتجبرها على الالتزام بالحجاب... أين القوامة يا رجل؟... أتحبها... فتخشى عليها أن تغضب لو ألزمتها بأوامر الشرع؟ كذبت والله!... لو صدق حبك لها لأمرتها بما فيه نجاتها من النار وغِضب المنتقم الجبار...! ولكنك وقعت في حبائل الفتنة، فجرفتك معها في تيارها، وصدق رسول الله ﷺ القائل: «ما تركت بعدي فتنة(*) أضر على الرجال من النساء» متفق عليه.

---

(١) رواه أحمد والبزار والحاكم وقال صحيح الإسناد، وهو من حديث عبدالله بن عمر (المنذري) ـ وقد نقلته من «كتاب الكبائر» لشمس الدين الذهبي (ص ١٣٧).

(*) «فتنة: أي أخاف أن يُعجبوا بهن فيشتغلوا عن الآخرة والعمل لها... وفُتن إلى النساء: =

كما روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء. فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

أما أنت أيها المجتمع! الذي أصبحت غارقا في أوحال الرذيلة من جراء الآثار المترتبة على تلك المعصية، التي تمكنت منك كالداء العضال، فإن عليك وزر الرضا بذلك، لأنك لم تتكاثف كمجموع يمنع الشر من بدايته، ويجبر كل عديم للحياء أن يكف عن المجتمع رذائله، حتى استشرى فيك الداء، واستعصى عليك الدواء، فصرت منهوك القوى، ممزق الأوصال، وما الأزمات الاقتصادية والصحية والاجتماعية والنفسية والسلوكية والسياسية التي تمر بها مجتمعاتنا الإسلامية إلا نتيجة لذلك، وعقاباً لها على عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولَتَنهَوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم» رواه الترمذي وقال حديث حسن، والأدهى من ذلك هو قيام البعض بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرة واحدة، ثم مجالسة ومعاشرة ومصادقة المرتكبين للمنكر، وإن العقوبة التي تنزل بهؤلاء هي اللعن (الطرد من رحمة الله)، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا! اتّقِ الله، ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض» ثم قال تعالى:

= أراد الفجور بهن. والفتنة: الضلال والإثم». من «لسان العرب» (الجزء ١٧ ـ ص ١٩٥، ١٩٦).

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (المائدة: ٧٨ ـ ٨١).

ثم قال: «كلا والله لتأمُرنَّ بالمعروف، ولَتنهُونَّ عن المنكر، ولتأخُذُنَّ على يد الظالم، ولتأطِرُنَّهُ على الحق أطراً، ولتقصرنّه على الحق قصراً، أو ليضربُنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم»، رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن.

وقد تدعو المتبرجة غيرها إلى نبذ الستر والحجاب، أو يقلدنها في ذلك فتصبح بمثابة من دعا إلى ضلالة، فتحمل وزرها، ووزر كل من تبعتها (أي يُجمع إلى سيئاتها مقدارٌ من السيئات يساوي عدد سيئاتهن مع معاقبتهن هن الأخريات بسيئاتهن أيضاً دون نقصان)، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» رواه مسلم.

العقوبات والأخطار الدنيوية للتبرج والاختلاط

لو أردنا أن نستعرض العقوبات والأخطار الدنيوية للتبرج والاختلاط بعد أن استعرضنا عقوباتهما الأخروية، فإننا نجد ذلك واضحاً في

المجتمعات الأجنبية ، أما عندنا فإنها تبدو لنا بصورة تدريجية نظراً للتدرج في التردي في هاوية التقليد الأعمى لكل ما هو أجنبي ، خاصة وأن الإعلام العربي يشجع ذلك ويباركه ، سواء أكان بالإذاعة أم بالتلفزيون أم بالمطبوعات الماجنة التي تشجع الفساد والانحلال وغير ذلك ، ومن العجيب أن يلتبس الأمر على أذهان البعض ؛ فيعتبرون أن التمثيليات التليفزيونية والمسرحيات والأفلام (التي لا همٌ لها إلا تعليم الناس بأسلوب خفي كيف يفسقون؟) قد أفادتهم كثيراً ووسعت خبرتهم بالحياة!

أقول : نعم ، لقد وسّعت خبرتهم في كل ما يؤدي إلى إفسادهم ، ويحللهم من أخلاقهم ، فما من أفلام أو تمثيليات حتى الدينية منها إلا ويُدخلون فيها عنصر العشق والغرام ، ويركزون على المرأة بصورتها المغرية ، بل وحتى الإعلانات التليفزيونية أصبحت لا تخلو من ذلك ، فنجد المرأة بشحناتها الإغوائية تبدو في إعلانات السمن ، والبطاريات ، والمشروبات ، والحلويات ، والمبيدات الحشرية ، والمنظفات المنزلية ، وطلاء الجدران ، وما يستلزم وجودها وما لا يستلزم ، وهي تستعرض فتنتها ، وتبرز أجزاءً حساسة من جسمها كي يستشري الفساد ، وتنهدم الأمة الإسلامية ؛ لتتبع في انحلالها سائر بلدان العالم المنحلة الفاسدة التي لا يهذبها دين ولا يقوّمها خلق .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا!

يقول السيد سابق :

«وقد سبب الجهل والتقليد الأعمى الانحراف عن هذا الخط المستقيم ، وجاء الاستعمار فنفخ فيه ، وأوصله إلى غايته ومداه ، فأصبح من المعتاد أن يجد المسلم المرأة المسلمة مبتذلة ، عارضة مفاتنها ، خارجة في زينتها ، كاشفة عن صدرها ونحرها وظهرها وذراعها وساقها . . . وأصبح

لموضات الأزياء مواسم خاصة يُعرض فيها كل لون من ألوان الإغراء والإثارة. . . وتجد المرأة من مفاخرها ومن مظاهر رقيها أن ترتاد أماكن الفجور والفسق والمراقص والملاهي، والمسارح والسينما، والملاعب والأندية والقهاوي، وتبلغ منتهى هبوطها في المصايف وعلى البلاج.

وأصبح من المألوف أن تُعقد مسابقات الجمال، تبرز فيها المرأة أمام الرجل، ويُوضع تحت الاختبار كل جزء من بدنها، ويُقاس كل عضو من أعضائها على مرأى ومسمع من المتفرجين والمتفرجات، والعابثين والعابثات. وللصحف وغيرها من أدوات الإعلام، مجال واسع في تشجيع هذه السخافات، والتغرير بالمرأة للوصول إلى المستوى الحيواني الرخيص، كما أن لتجار الأزياء دوراً خطيراً في هذا الإسفاف.

وكان من نتائج هذا الانحراف أن كثر الفسق، وانتشر الزنا، وانهدم كيان الأسرة، وأهملت الواجبات الدينية، وتُركت العناية بالأطفال، واشتدت أزمة الزواج، وأصبح الحرام أيسر حصولاً من الحلال. وبالجملة؛ فقد أدى هذا التهتك إلى انحلال الأخلاق، وتدمير الآداب التي اصطلح الناس عليها في جميع المذاهب والأديان.

وهذه الحالة قد أثارت اهتمام زائرات القاهرة (عاصمة مصر) من الأجنبيات، إذ لم تكن المرأة الغربية تفكر في مدى الانحدار الذي تردت فيه المرأة الشرقية. . .

ففي «أهرام»(*) ٢٧ مارس ١٩٦٢ م جاء في باب «مع المرأة» هذا العنوان: **«المرأة الغربية غير راضية عن تقليد المرأة الشرقية لها»**. . . وجاء تحت هذا العنوان: «اهتمام المرأة العربية بالمودات الغربية، وحرصها على

(*) الأهرام: اسم لصحيفة مصرية يومية.

تقليد المرأة الغربية في تصرفاتها، وفي طباعها، لا تستسيغه السائحات الغربيات اللاتي يحضرن لزيارة القاهرة، ولا يرفع من سمعتها في الخارج كما تظن، أفصحت عن ذلك الرأي صحفية إنجليزية زارت القاهرة أخيراً، وكتبت مقالاً في مجلتها تقول فيه: لقد صُدمت جداً بمجرد نزولي أرض المطار، فقد كنت أتصور أنني سأقابل المرأة الشرقية بمعنى الكلمة... إلى أن تقول: ولكنني لم أجد شيئاً من هذا، فالمرأة هناك، هي نفسها المرأة التي تجدها عندما تنزل إلى أي مطار أوروبي، فالأزياء هي نفسها بالحرف الواحد، وتسريحات الشعر هي نفسها، والماكياج هو نفسه، حتى طريقة الكلام والمشية، وفي بعض الأحيان اللغة: إما الفرنسية أو الإنجليزية!!! وقد صدمني من المرأة الشرقية أنها تصورت أن التمدن والتحضر هو تقليد المرأة الغربية، ونسيت أنها تستطيع أن تتطور وأن تتقدم كما شاءت، مع الاحتفاظ بطابعها الشرقي الجميل».

وفي «جمهورية»(*) السبت ٩ يونيو ١٩٦٢ م نشر تحت هذا العنوان: «كاتبة أمريكية تقول: **«امنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية المرأة»**... قدمت الصحيفة هذه الكاتبة بقولها: «هيلسيان ستانسبري» صحفية متجولة، تراسل أكثر من ٢٥٠ صحيفة أمريكية، ولها مقال يومي يقرأه الملايين، ويتناول مشاكل الشباب تحت سن العشرين، وعملت في الإذاعة والتليفزيون وفي الصحافة أكثر من عشرين عاماً، وزارت جميع بلاد العالم، وهي في الخامسة والخمسين من عمرها». تقول الصحفية الأمريكية بعد أن أمضت شهراً في الجمهورية العربية بعد أن قدمتها الجريدة هذا التقديم:

«إن المجتمع العربي مجتمع كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشاب في حدود المعقول، وهذا

(*) الجمهورية: اسم لصحيفة مصرية يومية.

المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي، فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة، وتحتم أكثر من ذلك، عدم الإباحية الغربية التي تهدد اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا؛ ولذلك فإن القيود التي يفرضها المجتمع العربي على الفتاة الصغيرة ـ وأقصد ما تحت سن العشرين ـ هذه القيود صالحة ونافعة، لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحة وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا، امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين[1]، فقد عانينا منه في أمريكا الكثير، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعاً معقداً مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة، وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين، يملأون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية.

إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغار قد جعلت منهم عصابات أحداث وعصابات «جيمس دين» وعصابات للمخدرات والرقيق».

إن الاختلاط والإباحية والحرية في المجتمع الأوروبي والأمريكي هدّد الأسر، وزلزل القيم والأخلاق، فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين في المجتمع الحديث تخالط الشبان، وترقص «تشاتشا» وتشرب الخمر والسجاير وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والحرية والإباحية. والعجيب في أوروبا

(١) منع الاختلاط في الإسلام لا يتوقف عند سن معينة، بل في جميع الأعمار، ويبدأ المنع من سن عشر سنوات بالتفريق بين الإخوة والأخوات في المضاجع عند النوم، ثم بعد ذلك بين الفتاة والرجال الأجانب عنها، ويكون ذلك منذ البلوغ، لأنه سن التكليف؛ لأن ضرر الاختلاط لا يتوقف عند سن معينة، ولكن الكاتبة الأمريكية تظن أنه فيما بعد العشرين يكون الإنسان مدركاً للخطأ والصواب وبالغاً تمام رشده، وما ظنها ذاك إلا لأن سن ما تحت العشرين هي سن المراهقة والطيش، فتكون الأضرار والأخطار للتبرج والاختلاط منتشرة على نطاق واسع، وبصورة عظيمة الوضوح، وليس يعني ذلك أن ما بعد تلك السن أحرص على القيم والأخلاق أو معصومة من الخطأ، والواقع يشهد بذلك.

وأمريكا أن الفتاة الصغيرة تحت سن العشرين تلعب، تلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها، بل وتتحدى والديها ومدرسيها والمشرفين عليها، تتحداهم باسم الحرية والاختلاط، تتحداهم باسم الإباحية والانطلاق، تتزوج في دقائق وتطلق بعد ساعات!! ولا يكلفها هذا أكثر من إمضاء وعشرين قرشاً وعريس ليلة، أو لبضع ليال، وبعدها الطلاق، وربما الزواج فالطلاق مرة أخرى»[1] اهـ.

وفي مجلة «سيدتي» العدد ١٧٤ ـ الصادر بتاريخ ١٠ ـ ١٦ شوال ١٤٠٤ هـ الموافق ٩ ـ ١٥ يوليو ١٩٨٤ م حوار أجراه «مفيد فوزي» مع السيدة «مفيدة عبد الرحمن» (أشهر محامية طلاق في مصر) والتي لها (٤٥ عاماً من الخبرة) كما تقول المجلة. . . ويتبين من الحوار الأسباب الرئيسية للطلاق، وكان من ضمن الأسباب الرئيسية للطلاق: الاختلاط.

تقول السيدة مفيدة عبد الرحمن بهذا الخصوص:

«الاختلاط» أنا ضده تماماً. الاختلاط مفسدة، يحدث أن تذهب الزوجة إلى عملها في حالة اكتئاب، فتجد زميلها يلاطفها، ويصغي إليها، ويريحها، وتتكرر هذه الجلسات مرة في الصباح مع فنجان القهوة، ومرة أثناء غداء في المكتب، ومرة ثالثة وهو يدعوها لتوصيلها بسيارته، وفي كل مرة يحدث التقارب النفسي، فالتعارف الشخصي المباشر، وتعود الزوجة وتطلب الطلاق وتتزوج الزوج الآخر، وقد تجد هناءها المنشود، وقد تكتشف أنها مجرد «نزوة»! ونفس الموقف يحدث للزوج الذي يعيش حالات نكد يومية، فيبدو عليه الإرهاق والعذاب والتعب، ويحدث أن يجلس الزوج مكتئباً، فتقترب منه زميلته تسأله عن أسباب عذابه، فيبوح بها، ويحس بالسعادة من أن هناك أذن تسمعه، ويتكرر المشهد ويستريح

---

(١) «فقه السنة» لسيد سابق (المجلد الثاني ـ ص ٢١٣ ـ ٢١٩ باختصار).

الزوج لزميلته التي تصبح بعد فترة تحت أثر النكد اليومي صديقته، وتتسلل مشاعر الحب من حيث لا يدري ويعود إلى بيته، ويطلق زوجته، ويتزوج زميلته، وربما سكرتيرته!

إن هذا الاختلاط بهذه الصورة حيث لا ضوابط جعل الطلاق أمراً هيناً وسهلاً بعد أن كان من سابع المستحيلات» اهـ.

وفي صحيفة «المسلمون» العدد ـ ٥٢ ـ السبت ٢٢ جُمادى الأولى ١٤٠٦ / ١ فبراير ١٩٨٦ م كتب الشيخ «منّاع خليل قطان» تحت عنوان: «الاختلاط ومفاسده»:

«آثار الاختلاط بين الرجال والنساء غريزة الجنس، فكان التبرج والافتتان بإبداء الزينة والجمال بصورة وصلت إلى الخلاعة والعري لإطفاء أوار شهوة الجنس، وأتى هذا كله على بنيان المجتمع الغربي من القواعد، فما سرت هذه الأدواء في أمة إلا أوردتها موارد الهلاك.

إن الاختلاط بين الجنسين يحرك في النفس كوامن الغريزة، ويشعل نار الشهوات الجامحة، ويؤجج عواطف الغرام والحب، ويغري كلا الجنسين بالآخر، فيرخي العنان للشهوة التي لا حدود لها.

وقد اقترن الاختلاط بالمجون الفاحش في الصور العارية، والأدب المكشوف، والقصص الغرامية، وحفلات الرقص المثيرة.

وينشأ الناشئة في هذا الجو المحموم، الذي تغلي مراجل مجتمعه بالأغاني الماجنة، والموسيقى الراقصة، والطرب الخليع، ومناظر الجمال الجذابة، وصور الإغراء الفاحشة فتسيطر عليهم هذه الاستثارة الجنسية، التي تطفىء فيهم القوى الفكرية والعقلية، ولا يكادون يبلغون الحلم حتى تغتالهم الشهوات البهيمية وتستحوذ عليهم.

وإرخاء العنان للشهوة الجنسية يؤدي إلى اضمحلال القوى الجسدية والفكرية، ويفقد ذويه الصبر والجلد والتحمل، ويساعد على انتشار الأمراض السرية الفتّاكة، ويحول حياة المجتمع إلى لهو وعبث ومجون وخلاعة.

ولا يكون الزواج عصمة في المجتمع المختلط، فإن كلا الزوجين إذا وجد سبيلاً لمتعة أفضل وسط هذا التنافس المغري لا يأسى على هجر زوجه، فيفارقه إلى زوج آخر أحسن رواء وبهجة، أو إلى اتخاذ الأخدان من الأخلاء والخليلات.

وحتى تحافظ المرأة على رشاقة جسمها، ومفاتن جمالها، لتظل موضع إغراء في المجتمع المختلط، تتمتع بلذات العلاقة الجنسية، فإنها تتخذ التدابير اللازمة لمنع الحمل لئلا يقتحم عليها الولد مسيرة حياتها، ويعكر عليها صفو ملذاتها، وإذا لم تتقن المرأة تدابير منع الحمل، فإنها تتخلص منه بالإسقاط، وبهذا ينخفض معدل الولادة في المجتمع» اهـ.

وإن من أشد المفاسد والأضرار المترتبة على تبرج النساء واختلاطهن بالرجال؛ هو فسق الرجال لافتتانهم بالنساء، ثم تركهم للجهاد في سبيل الله، إذ أنه كيف يلتفت الشاب إلى واجبه المقدس وهو تائه الفكر منشغل الضمير، مشتت الوجدان أقصى ما يطمح إليه هو نظرة من هذه ولمسة من تلك؟!

ولهذا وُضعت المخططات لإفساد المرأة المسلمة؛ لكي يفسد المجتمع الإسلامي ويتحلل ويسهل استعماره من النواحي الأخرى غير العسكرية، حيث تم نزع حجاب المرأة المسلمة تدريجياً في أوائل هذا القرن، وتم التغرير بها تحت مسميات وشعارات براقة خدّاعة، فسموا نزع الحجاب «حرية وتحرر» فمن أي شيء حرروها؟ إنهم حرروها من الفضيلة والشرف والحياء، وكان من الواجب أن يطلقوا اسم «تحلل» بدلاً من

«تحرر». . . ولكنه الزيف والإضلال والخداع حتى أضحت رقاب المسلمين في أيدي أعدائهم، وانهاروا اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وصحياً ونفسياً واجتماعياً ومن جميع الوجوه.

يقول الإمام حسن البنا:

«يجب أن نعلم أن قضية المرأة في المجتمع الآن وقبل الآن هي أهم ما يدور عليها صلاح المجتمع وفساده، وإذا نظرنا إلى الأحاديث التي تشير إلى هذا المعنى وإلى تسلسل الانحلال الذي أوله فساد المرأة؛ نجد أن النبيﷺ قال: «كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم؟ قالوا: وإن ذلك لكائن يا رسول الله؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون، كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون، قالوا: وما أشد منه؟ قال: كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون، قالوا: وما أشد منه؟ قال: كيف وأنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم. . . والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون». يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «بي حلفت، لأتيحنَّ لهم فتنة يصير الحليم فيها حيراناً». رواه أبو يعلى. سلسلة متصلة الحلقات، تطغي المرأة فيتبعها فجور الشباب، ويغفل كل عن واجبه، ويصير من الغريب أن تخرج المرأة محتشمة متسترة، ويترتب على ذلك ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم يتدرج الأمر إلى أن يكون المعروف منكراً والمنكر معروفاً، ثم تكون الفتنة التي تجعل الحليم في الأمة حيران، لا يدري ماذا يصنع؟»[1].

---

(١) من كتاب «نظرات في إصلاح النفس والمجتمع» ـ للإمام حسن البنا ـ سجلها وأعدها للنشر أحمد عيسى عاشور. (ص ٧١).

ويبين السيد عبد الباقي رمضون أن عواقب التبرج والاختلاط تتركز فيما يلي:

« ١ - حلول الزنا والسفاح محل الزواج الشرعي.

٢ - فساد الأسرة وانهدام العائلة وتفشي الطلاق.

٣ - شيوع الفواحش وسيطرة الشهوات.

٤ - انهيار الاقتصاد لضعف القوى وقلة الإنتاج وفساد التجارة. فأما ضعف القوى؛ فبسبب الأمراض العقلية، والنفسية، والخلقية، والجسمية التي يُصاب بها الإنسان في المجتمع المختلط المتبرج، وأما قلة الإنتاج، فبسبب ضعف القوى، وتبدد الأموال، وضياعها في طريق الترف والشهوات، في أدوات الزينة والأزياء، وبسبب عدم الإخلاص في العمل لانعدام الرادع الإيماني لدى الإنسان في المجتمع المتبرج المنحل، وأما فساد التجارة؛ فللأسباب السابقة، وكذلك بسبب انتشار التجارة القائمة على استغلال تمرد الشهوة، وانهدار القيم كتجارة الربا والميسر والبغاء، وتجارة المصورات العارية والمجلات الفاسدة، والأفلام الخليعة، وتجارة المسكرات، والمخدرات إلى غير ذلك من التجارات التي لا تعود على المجتمع إلا بالخسارة، والضرر والبطالة والفقر، إذ بها تُهدر الطاقات المنتجة، وتضيع الأموال الداعمة، وتتعطل التجارات النافعة، ويعيش المجتمع أسير الاستغلال واللصوصية.

وإذا كان الاقتصاد في الدول الكبرى كأمريكا وروسيا والدول الأوروبية - وهي بؤرة الاختلاط والتبرج - لم ينهر بعد، ويظهر سليماً لأول وهلة بالنظرة السطحية، لكنه في الحقيقة متصدع، ويكاد ينهار، لولا استغلال واستعباد تلك الدول للدول الضعيفة والمغلوبة على أمرها وامتصاص دمائها وسلب خيراتها.

٥ ـ القضاء على النسل البشري والنوع الإنساني، بسبب زوال الأسرة الزوجية، وحلول الزنا محل الزواج علماً بأن الزانية لا ترغب بالحمل فتحاول الخلاص منه بكل وسيلة، كما أنه مهدد بعدم رغبة الزوجين بالولد لاعتباره في نظرهما مصيبة نزلت عليهما.

٦ ـ انتشار العادات السيئة كعملية الاستمناء واللواط والسحاق، وخصوصاً بين المراهقين والمراهقات، بسبب التهيج الناتج عن مشاهدة الأفلام الإباحية والاختلاط وعن قراءة القصص والكتب والمسرحيات، التي تتمادى في البحث في أمور الشهوة والغريزة والجنس.

٧ ـ ظلم المواليد والأطفال؛ فالمولود تحضنه دور الحضانة لانشغال أمه عن حضانته بالوظيفة واللهو، فيعيش الطفل محروماً من حياة الأسرة المترابطة، كما يعيش حياة موبوءة بالأمراض حيث أنه يتعرض للعدوى ممن حوله من أطفال الحضانة، وبالتالي فهو محروم من الحياة الصحية اللائقة.

٨ ـ شقاء الرجل والمرأة على السواء حيث أن الرجل والمرأة يعملان، فيعود الرجل من عمله ليجد الأثاث مبعثراً والأواني وسخة والطعام نيئاً حيث أن الزوجة خرجت من البيت لتؤدي عملها مثله، ولم يحن وقت عودتها بعد، فيشرع بنفسه في عمل جديد بعد عمله للتنظيف وإعداد الطعام بدلاً من تأمين راحته وسعادته بقرار المرأة في البيت.

٩ ـ الإساءة إلى المرأة بالذات؛ فالمرأة حين تخرج من بيتها إلى المجتمع المختلط تحاول أن تستأثر بنفسها دون زميلاتها بإعجاب الرجال بها، ولفت أنظارهم إليها، وخصوصاً إذا كانت ذات رشاقة وجمال وغنى في المال، فتراها تسعى لأن تلبس أجود القماش وأحدث الأزياء، وأن تستعمل جميع وسائل الزينة من مساحيق وأصباغ وتجميلات في الوجه واليدين والخصر والساقين إلى غير ذلك، وإنها إن وُجدت مع نساء لم يحزن ما

حازت حقرتهن، وتعالت وتكبرت عليهن، وحسبت نفسها أنها الوحيدة في عالم الحسن والجمال والفريدة بالإعجاب والدلال، وإذا وُجدت مع نساء سبقنها وتفوقن عليها في ذلك حسدتهن، وحقدت عليهن، وضاقت بهن ذرعاً، وامتلأت منهن غيظاً، وأصابها هم وغم وحسرة وحزن، وهكذا تجدها؛ إما متكبرة متعالية، وإما حاقدة حاسدة، وهذه أمراض خطيرة في النفس، وآفات مضعفة للعقل، بالإضافة إلى ضياع الوقت، وإهمال البيت لانشغالها أكثر وقتها بصبغ وجهها، وتصفيف شعرها وتجعيده عند الحلاق، وبتجميل نفسها، وتنحيل خصرها، وتفصيل الألبسة بأزيائها المتجددة، وبزيارة ومرافقة الأصحاب والصويحبات في السهرات والمناسبات في باقي الأوقات.

كما أن خروج المرأة متبرجة متزينةً مخالطةً للرجال يُعرّض عفافها وعرضها للأذى والسوء والفحشاء، وخصوصاً من قِبَل الأشرار والسفهاء، فإن وافقتهم خرّبت بيتها، وهدمت أسرتها، وخانت زوجها، وإن مانعتهم عرّضت نفسها للتهم والظنون والريب والشكوك؛ مما يؤثر تأثيراً خطيراً على حياتها مع نفسها وزوجها وأولادها وأسرتها.

١٠ - الانهيار الخلقي الشامل؛ بسبب هذه الأخطار والأمراض والمساوىء جميعاً ينتشر الكذب والخداع والغش والخيانة، وتتعاطى المحرمات بصراحة ووقاحة، وينعدم الحياء والحشمة، ويموت الإحساس والنخوة، ويخيم على المجتمع الخمول الفكري ويُصاب بالانحراف النفسي، والضعف البدني، وتسيطر عليه الشهوات، وتنهشه الأنانيات، وتسوء حاله، وينحدر إلى هاوية الشقاء.

١١ - شقاء الروح والقلب بسبب أن المجتمع المختلط المتبرج في غفلة عن الله والإيمان به والتصديق برسله ورسالاته»[1] اهـ.

---

(١) ملخص عن كتاب «خطر التبرج والاختلاط» لعبد الباقي رمضون (ص ٨٠ - ص ٩٦).

هذا كله إلى جانب أن الفراغ النفسي والروحي يؤدي إلى زيادة نسبة الانتحار في المجتمعات الإباحية، ومن يتابع الإحصائيات العالمية يجد العجب العجاب، إلى جانب النسب في عدد الفتيات الصغيرات اللاتي تمارسن الدعارة، والمدمنون والمدمنات على المخدرات والمشروبات الخبيثة، مع الانكباب على قراءة المجلات والكتب الماجنة التي تروج للفجور، وتحض عليه، وتضييع المال فيها لمتابعة كل جديد في عالم التبرج والخلاعة والمجون.

وبعد؛ فإن هذه الأخطار واقعة وملموسة، ويدركها الجميع، ولا يكابر فيها إلا من كان فاسد القلب والعقل، أعمى البصيرة، وهي أخطار أخروية ودنيوية، كما أسلفنا من قبل، ويصدق على من تعرّض لها قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ(*) وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ (سورة طه: ١٢٤ ـ ١٢٧).

(*) أي أسرف على نفسه بارتكاب المعاصي، لا كما يتبادر إلى أذهان البعض من أن الإسراف هنا بمعنى التبذير في المال.

القسم الثاني من المتبرجات
النساء المتدينات الصالحات اللاتي أخطأن في الطريق إلى الحجاب الشرعي الصحيح

ماذا أكتب إليك يا من لمسَ الإيمان شغاف قلبك فاستجبتِ لأوامر ربك طائعة؟ ماذا أكتب إليك يا من رضيت بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، فأديت ما افترضه الله عليك من صحة توحيد وصلاة وصيام وزكاة وحج، وزدت على ذلك بالنوافل من صدقة، وغير ذلك، ولكنك أبيتِ الالتزام بالحجاب؟

خرجتِ حاسرة الرأس، بادية الأذرع والسيقان، وظننتِ أنَّ ما أديتهِ من طاعات تكفي لرضاء الله عنك، واعتبرتِ أن الحجاب مظهرٌ أجوفٌ بينما هو فريضةٌ من أهم ما فرضه الله تعالى على المرأة، إذ قرن النهي عن التبرج (الذي هو ضد الحجاب) بالأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ (سورة الأحزاب: ٣٣).

فكيف بالله يمكن تمييز المسلمة المؤمنة عن غيرها إلا بأداء ما يفرضه عليها إسلامها من ستر وصيانة وحجاب؟

إن التزامك بأداء الصلاة والصيام وغير ذلك مما أمر به الشرع يجب أن يلزمك بفريضة الحجاب، ألم تسمعي قول الله عز وجل:

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ (سورة العنكبوت: ٤٥)؟

وهل هناك فحشاء أو منكر أكثر من خروجك كاسية عارية؟

إن الصلاة تهذب الخلق، وترقق القلب، وتستر العورة، وتنهى صاحبها عن كل منكر وزور، وتطهره من الرجس والدنس، فإذا شاهدنا إنساناً يصلي لكنه مع هذه الصلاة يأكل أموال الناس بالباطل، أو يغتابهم أو يظلمهم أو يعتدي عليهم أو... أو... إلى آخر القائمة من الأعمال التي تتنافى مع أوامر الشرع، بل ربما يتخذ الصلاة ستاراً يتستر به على كثير من المنكرات التي تتناقض مع ما يجب أن يكون عليه خلق المسلم الذي يصلي ويصوم ويزكي ويحج ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، مما يؤدي إلى إضعاف أو انعدام ثقة الناس به، فتسوء سمعته، ويتسبب في الإساءة إلى سمعة الملتزمين بأوامر الله.

هذا كله إلى جانب أن التي تؤدي بعض ما أمرها الله به وتمتنع عن البعض الآخر (كالحجاب مثلاً) تكون حالها حال من يختار من الشرع ما يعجبه، ويترك ما لا يعجبه، فتصبح في مصاف من ذمّهم الله تعالى بقوله:

﴿... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (سورة البقرة: ٨٥).

وما كان ينبغي عليك يا أختاه! إلا الاستجابة لجميع أوامر الله خشية أن تصبحي من الضالين، يقول تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦).

المتحجبات المتبرجات

وهذا الصنف من النساء يندرج تحت القسم الثاني من المتبرجات؛ وهن النساء المتدينات الصالحات اللاتي أخطأن في الطريق إلى الحجاب الشرعي الصحيح.

إنهن نساء مسلمات مؤديات لما افترضه الله عليهن من عبادات وأعمال صالحة، بالإضافة إلى استجابتهن لأمر الله ورسوله بارتداء الحجاب؛ إلا أن حجابهن هذا بحاجة إلى حجاب!

إنه ليس زيا شرعياً بالمعنى الصحيح، وإن ظنت لابسته أنها متحجبة، إن ما ترتديه هذه المرأة من أزياء فاتنة، وملابس مزركشة زاهية، تلفت الأنظار، وتبهج العيون لهي أبعد ما تكون عن صفة الجلباب الذي ألزم الله تعالى به نساء المؤمنين، حيث أنه لا يجب أن يكون زينة في نفسه، بل من قماش سميك خالٍ من الزخارف والألوان الملفتة للنظر، وإنه وإن كان طويلاً سابغاً إلا أنه عندما يكون محدداً لأعضاء الجسم بحيث تبدو منه استدارة الصدر، وحجم الأكتاف، ومحيط الخصر، وما إلى ذلك من أعضاء الجسم؛ فإن صاحبته تكون «كاسية عارية»؛ لأن الملابس التي تحدد أعضاء الجسم، أو تكون شفافة يبدو ما تحتها تعطي لمرتديتها تلك الصفة.

وإذا نهيت الواحدة منهن عمّا هي عليه من هيئة قالت مستنكرة: أليس الحجاب أن نرتدي ثوباً طويلاً وبأكمام طويلة مع تغطية الرأس بأي غطاء؟

ولو ألقينا نظرة على ثوبها الطويل ذلك؛ لوجدناه فاتناً مغرياً مزخرفاً منقوشاً بالرسومات التي تزيد من جمال الثوب وفتنته، وكم من الأثواب الطويلة ما يضفي على المرأة جمالاً وجاذبية، كان الأولى بها أن تقصرهما على زوجها، أو من سمح الله لها بإبداء زينتها عليهم، ولكنها ويا للأسف! تعرض ذلك للجميع . . . إن للحجاب شروطه وأوصافه، ومن أهمها ألا يكون زينة في نفسه، يلفت الأنظار، ويستهوي القلوب، لأن الهدف من الحجاب هو إخفاء الزينة لا إظهارها، كما أن أخمرة الرأس الفاتنة التي ترتديها هذه الفئة من النساء تنفي عنهن صفة الحجاب الشرعي، فمنهن من تعقد خمارها (غطاء رأسها) بطريقة جذابة كأن تلفه من جهة لأخرى ثم تشبكه بالدبابيس ليتدلى جزء منه من أحد الجانبين، أو تضيف إليه بعض الحلي أو الخرز اللامع أو تضع على رأسها ما يشبه العمامة وهو المعروف باسم (بونيه وغير ذلك من أسماء تختلف باختلاف البلاد، لكن الهيئة واحدة، وهي غطاء يوضع على قدر الرأس ويُربط أو يكون مخيطاً بطريقة تشبه العمائم للرجال)، أو تلبس طاقية وفوقها غطاء الرأس مما يعطي لرأسها هيئة عظيمة ملفتة للنظر تسحر العيون وتأخذ بالألباب، حتى أنك لو رأيتها بغير حجابها المزعوم لم تجدها بتلك الصورة الساحرة الفاتنة التي لا يصح أن يراها إلا الزوج والمحارم.

إن هذه الأخمرة (أغطية الرأس) السابق ذكرها، وما شابهها من هيئات هي من صفات الكاسيات العاريات التي تبدو رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة! والبخت معناها الجمال. أما رأيتِ يا أختاه! كيف يبدو سنام الجمل بارزاً جميلاً؟ وها هو رأسك مثله، قد برز بهذه الأخمرة القصيرة، وتحدد شكله وعَظُمْ، مع أن الخمار الحقيقي يجب أن يكون من قماش غير شفاف، ولا لافت للنظر، ولا مزين بالحلي أو الخرز أو غير ذلك من فنون التزيين، ثم أنه يجب أن ينسدل من الرأس على الصدر والأكتاف، ويغطي العنق،

ومواضع الزينة، وهذا هو أقل ما يجب من غطاء للرأس، يكون الرأس به متصلاً بغيره من الأجزاء، يلفهم ثوب واحد، أما الحجاب الحقيقي؛ فهو الجلباب وهو عبارة عن ثوب أكبر من الخمار الذي ذكرته، وينسدل من الرأس ليغطي الوجه، والأكتاف، والصدر، والخصر، والأرداف، ويشمل الجسم كله، ويكون من قماش غير شفاف، ولا ملفت للنظر، وسيأتي توضيح صفة الحجاب الشرعي بالأدلة الشرعية في نهاية هذا البحث. فبالله ماذا تركت أيتها المحجبة بالأخمرة القصيرة المزينة والأثواب الزاهية الملفتة للنظر! لغيرك من المتبرجات من فنون الزينة والإغراء؟!

إنه لمن المضحكات المبكيات؛ أن بعض الفاسقات أردن ارتداء مثل هذا الحجاب المزعوم؛ لما رأينه يضفي على المرأة جمالاً، وبهاءً، وجاذبية تزيد، وتفوق في نسبتها على ما يفعلنه بأنفسهن من أساليب للإغراء، والتجميل، ولفت أنظار الرجال، والاستئثار بقلوبهم!

كما اعتبرته بعض النساء موضة حديثة؛ بسبب انتشاره انتشاراً واسعاً في بلادنا العربية، على أنه حجاب وما هو بالحجاب بل هو (تبرج مقنّع)، ومما يزيد في البلاء أن نرى بعض المرتديات لهذا الحجاب المزعوم قد أبرزن حليهن للعيون، وصبغن وجوههن بمساحيق التجميل، ونتفن من شعر الحواجب، كما أن بعضهن لا تتورع عن الاختلاط بالرجال، ومجالستهم، ومضاحكتهم، وقد رأيت ذلك بنفسي، كما يستقبلن الضيوف من الرجال مع مصافحتهم، وكل ذلك معلوم الحرمة وسبق أن أشرنا إليه، وهو في الوقت نفسه يسيء إلى سمعة الحجاب والمتحجبات جميعاً دون تمييز، ولقد بلغ الأمر ببعض الصحف والمجلات أن لجأت إلى التحايل على اللاتي أردن التحجب لصرفهن عن الحجاب الحقيقي، لتصبح متبرجة من حيث تعتقد أنها محجّبة، ضمن مخطط للقضاء على حجاب المرأة المسلمة الحقيقي الشرعي الصحيح، وقد اطّلعت بنفسي على تلك الصحف والمجلات التي تصدر في

بلاد المسلمين، وتوجهها أقلام مأجورة عميلة لأعداء الإسلام!

وقد عرضت تلك الصحف والمجلات ملابس ليس فيها أدنى صفة من الحجاب إلا أنها طويلة وبأكمام فحسب، مع أن تلك الملابس يمكن أن تكون ملابس للسهرة تخص المتبرجات وكُتب تحتها (أزياء للمتحجبات)!

كما قام مصور نصراني يعمل بصحيفة كبرى بإحدى الدول العربية بعرض لقطات لأغطية رأس مزينة بالريش والحلي، وكأنها قبعة على رأس عروس فاتنة، وكتب تحتها (أغطية رأس للمتحجبات)!

أهذا هو الحجاب؟ موضة وأزياء وخطوط وألوان؟!

أسموه موضة؛ حتى يمسحوه وقتما أرادوا، كما يمسحون موضاتهم التي تذهب وتجيء تلاعباً بعقول الشباب والشابات، وجعلوه زياً من الأزياء، لكي ينزعوا من نفوس المسلمات هيئته الحقيقية، وهيبته، ويصرفوهن عن الحجاب الصحيح إلى التبرج القبيح!

وينتشر حجاب آخر يغطي جميع جسم المرأة بما في ذلك وجهها، ولكنه قصير يُبدي قدميها ومعظم ساقيها، فتقوم بتغطيتها بالجوارب الرقيقة الشفافة، فبالله أهكذا يكون الحجاب؟

وفي بعض البلاد العربية ينتشر لبس عباءة ترتديها المرأة فوق ثيابها؛ إما مع كشف الوجه، وفي بلاد أخرى مع تغطية الوجه، بينما ترفعها صاحبتها إلى خصرها مع ترك ثيابها المزينة المذهّبة التي تشبه أثواب العرائس بادية للعيون، لافتة للأنظار، مع إظهار حليها وخضاب يديها؛ لتزيد من تلك الفتنة، وكل ذلك ليس من الدين في شيء.

وفي بلاد عربية أخرى يسود لبس إزار أسود سفلي، ولكنه مقسم إلى كسرات، مع تغطية الرأس والوجه بغطاء ينسدل إلى ما تحت الصدر بقليل

من نسيج شفاف منقوش بنفس اللون الأسود، ولكن على هيئة القلوب، أو الورود، أو أشكال أخرى ملفتة للنظر، وتسير صاحبة هذه الملابس، فتموج كسرات إزارها (تنورتها) وكأنها راقصة تسير على إيقاع مشيتها، كما يبدو تحديد خصرها لقصر خمارها، وأحياناً يبدو ذراعاها العاريتان من الثياب المكتسيتان بالحلي، المزينتان بالخضاب، وما هذا بالحجاب الصحيح.

وهناك من المتحجبات بزي يستر البدن كله ما عدا الوجه والكفين، يُسمى (بالطوشرعي) وانتشر كزي شرعي بين النساء إلا أن لابسته تغطي رأسها بغطاء قصير (إيشارب)، أو بطاقية وإيشارب؛ أو بونيه مما سبق ذكره من أخمرة قصيرة فاتنة، فضلاً عن أن ذلك الخمار لا ينسدل ليغطي الأكتاف والعنق والصدر، بالإضافة إلى أنه (أي: البالطو) أصبح يُزين بالأشرطة الملونة، ويُتفنن في قصه قصّات مختلفة جذابة؛ مما يدفع به بعيداً عن الهيئة الصحيحة للحجاب.

وخلاصة الأمر في كل ما سبق؛ أن الحجاب ليس ستراً لللحم فحسب كما تظنه الكثيرات؛ بل هو ستر المفاتن كلها ظاهرة وباطنة بمواصفات محددة شرعاً، وإنني لا أهاجم بما ذكرته المتدينات، أو أفضح عيوبهن، فإنهن وإن كُنَّ مخطئات في حجابهن هذا؛ فإن الأمل كبير في استجابتهم للحق وما فيه مصلحتهن الحقيقية؛ من نبذ للتبرج، والتزام بالحجاب الصحيح، فتلك هي صفة المؤمنين والمؤمنات، وما يكون قولهم إلا (سمعنا وأطعنا) فالحق أحق أن يتبع، وما ينبغي أن نستمر في اتباع الخطأ عناداً ومكابرة وتقصيراً وتقليداً للمتبرجات الماجنات، وإنني أناشد النساء من فئة المتحجبات المتبرجات بتكملة الطريق للوصول إلى الحجاب الذي يُرضي الله بالتعرف على مواصفاته الحقيقية وتطبيقها بدلاً من تشويه صورته، وصوناً لسمعة المتحجبات الحقيقيات، واحترازاً من أن يصبحن من النسوة اللاتي ذمّهن رسول الله ﷺ بقوله: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط

كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» رواه مسلم. وفي رواية «من مسيرة خمسمائة عام»!

القسم الثالث من المتبرجات

المتحجبات المزيفات

وهؤلاء أشبه ما يكنَّ بالمنافقات، فلا هنَّ متبرجات خالصات، ولا متحجبات حقيقيات، ولا حتى من الصنف الأخير، وهنَّ المتحجبات المتبرجات، وقد رأيت بعضهن وأنا في بلد إسلامي تلتزم نساؤه بستر الوجه والجسم كله، فلما حان موعد سفري ومغادرتي لهذا البلد المسلم إذا ببعض نسوة تلك البلد ممن يرغبن في السفر على متن الطائرة التي ستقلني إلى وجهتي، وقد ارتدين العباءات السابغة وغطين وجوههن ونحن بالمطار، فما إن ركبنا الطائرة، وأقلعت في الجو حتى أقلع هؤلاء المنافقات هن الأخريات، ولكن ليس من الأرض إلى السماء، بل من الفضيلة والحياء إلى السفاهة والشقاء! فقد خلعن عباءاتهن، وكشفن وجوههن، وشعورهن، وأظهرت كل واحدة منهن ما ترتديه من ملابس خفيفة شفافة مزينة، ذات أكمام قصيرة، ثم أخذن في إخراج المرايا لإصلاح زينتهن وتمشيط شعورهن، فانتابتني الدهشة وأصابني الذهول، وآلمني أن أولياء أمورهن المرافقين لهن لم يبدوا حراكاً، ولم يُظهروا استياءً، وكأن شيئاً لم يحدث، فأي سفاهة تلك التي تجعل من البعض ممثلين، فتارة يمثلون الفضيلة في بلد، وتارة يمثلون الفسق في أخرى.

إنهم تقنّعوا بالفضيلة ليُسكتوا الاعتراضات التي قد تصدر ضدهم في بلادهم الأصلية، ولكنهم أسفروا عن حقيقتهم في البلاد التي تشجع

الانحلال وتبارك الفساد، وتحارب المتمسكين بالدين وترميهم بالتطرف.

وأرجو ألا يُفهم من كلامي أن كل نسوة تلك البلاد على هذه الشاكلة، ولكنني أقصد بعضهن، فإنه لم يزل هناك من النسوة الصالحات التقيات الكثير ولله الحمد.

كما أن بعض الفتيات في البلاد المحافظة على تقاليد ستر المرأة يخرجن في طلب العلم إلى بلد آخر، فنفاجأ بأن الفتاة التي كانت ملتزمة بالستر التام تخلع عنها ثوب الحياء، فترتدي بنطلوناً وقميصاً كالرجال، أو ترتدي ثياباً قصيرة، وتترك شعرها ينسدل على أكتافها، مع صبغ وجهها بالمساحيق، وقد تختلط بالرجال تحت شعار الصداقة، وكأن طلب العلم يستوجب خلع الفضيلة والحياء!

وتعود هؤلاء الفتيات إلى بلادهن الأصلية المحافظة بهيئتهن الجديدة المزرية الفاضحة، فتزغرد لهن أمهاتهن، ويفتخر بهن آباؤهن وإخوتهن، ناظرين إلى ابنتهم الفاسقة نظرة الإجلال والإكبار، فهي في نظرهم قد أصبحت متحضرة متقدمة، فلا ينكرون عليها فعلها أبداً.

وهناك متحجبات مزيفات أخريات ارتدين الحجاب لمآرب شخصية؛ كالبحث عن زوج صالح بعد أن يئسن من العثور على زوج من شاكلتهن، فما أن تظفر إحداهن بالفريسة حتى تكشر عن أنيابها، وتعلن عن حقيقتها، وتخلع حجابها، فتبدأ المشاكل وتنشأ الصراعات، فتدعي أنها ظُلمت بذلك الزواج الذي يحد من حريتها في التبرج على زعمها، ويشعر الزوج بالتعاسة والإحباط، وقد يُفتن في دينه بسبب تلك الزوجة الغشاشة المنافقة، أو يطلقها بعد اليأس من إصلاحها، وفي كلا الحالين تثور الهموم والأحقاد، وتنقلب الحياة الزوجية إلى جحيم لا يُطاق.

كما أن بعض هؤلاء المذكورات يرتدين الحجاب من أجل نيل وظيفة

في بلد يشترط على المتعاقدات معه الالتزام بالزي الشرعي، فما أن يصل هؤلاء إلى البلد الذي تعاقد معهن على هذا الشرط حتى يذهبن إلى أماكن عملهن بأغطية شفافة تفتن وتغري، لا تغطي وتستر، بينما يكشفن وجوههن وشعورهن في الأسواق والمحلات التجارية، فينشرن الفساد أينما حللن، وتقتدي بهن نساء ذلك البلد الذي ينتشر فيه الحجاب، وينسى هؤلاء أنهن بهذا العمل خائنات للأمانة والعهد، فتصبح الأموال التي يتقاضينها أموالاً حراماً، حيث إنهن نقضن الشرط المذكور في العقد للعمل في تلك الوظيفة، وهو الالتزام بالزي الشرعي، بالإضافة إلى أن تلاعبهن بالحجاب يؤدي إلى فقد الثقة بهن، وعدم احترامهن، وزوال هيبتهن من النفوس.

فإلى هؤلاء المنافقات أسوق قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٤ - ١٧).

وأمّا ما أعده لهم الحق عزَّ وجل فهو:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (سورة التوبة: ٦٨).

المغيّرات خلق الله

خلق الله تعالى آدم في أحسن تقويم ، وأمر الملائكة بالسجود له سجود تكريم ، لا سجود عبادة فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس الذي أبى أن يسجد استكباراً ، فقضى الله عليه بالطرد من الجنة ؛ لتكبره ، وعصيانه لأوامر الله عز وجل ، فطلب من الله أن يؤخره إلى يوم البعث ، إلى يوم القيامة ، فلما أجابه الله إلى ذلك ، توعّد الخبيث أن يغوي ذرية آدم ، ويفسدهم بشتى الوسائل ، ويأتيهم من مختلف الجهات ؛ لأنهم كانوا سبب شقائه ، وفتنته ، وطرده من الجنة ، يقول عز وجل مصوراً توعد إبليس المذكور:

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٦ ـ ١٧).

ويمضي إبليس في خطته الانتقامية ، هادفاً إلى صرف البشر عن طاعة الله عز وجل ؛ ليحرمهم من الجنة كما حُرم هو منها ، وقد وضح لنا الله تعالى بنود تلك الخطة بقوله :

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ

لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾

وَلَأُضِلَّنَّهُمْ

وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ

وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ

وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ

وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ (سورة النساء: ١١٧ ـ ١٢١).

إننا ونحن نقرأ بنود الخطة الإبليسية التي كشفها لنا أرحم الراحمين حرصاً على أن نتقيها؛ يجب أن نتذكر معها التحذير الرباني الخالد:

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٧).

يجب ألا ننسى تحذيرات الله وأوامره، ويجب ألا ننسى اجتناب نواهيه، وإلا وقعنا في الدائرة الشيطانية، وقُضي علينا بالطرد من الجنة كإبليس، إن الطريق الأوحد للنجاة هو اتباع شرع الله قرآناً وسنة، وبذلك لن نضل ولن يصل إلينا الشيطان أبداً. يقول تعالى في معرض ذكره لقسم إبليس بإغواء بني آدم:

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

(سورة صٓ: ٨٢، ٨٣).

إن الإخلاص لله في العبادة هو الحصن الذي يتراجع عنده إبليس، ولا يقدر على اختراقه، ولكن أسلوبه الماكر الخبيث المغلف بالأماني البراقة، والوعود الزائفة، جعل بعض النساء (وهن أكثر أتباعه) يتنافسن في تطبيق بنود خطته إلى أن تم لإبليس مراده بصرفهن عن التذكر لأوامر الله، وإلهائهن عن التحذير الرباني القائم ضده، فزين لهن تغيير خلقتهن بشتى الوسائل، فمرة يدعوهن إلى اتخاذ الوشم، وتارة يدعوهن إلى التنمص، وتارة إلى وصل الشعر، وغير ذلك، ويغلف أوامره بتمنيتهن بالجمال من حيث أنه يضلهن عن الحق بما فعلنه، ثم يزين لهن هذا الفعل القبيح، فتظنه النساء جمالاً بينما هو قبح شنيع، وأي جمال نجده في حواجب رفيعة مقوسة تجعل صاحبتها كالمندهشة، وتزداد قبحاً كلما نما الشعر الذي أزالته من الحاجب من جديد، وهذا مشاهد وملموس في النساء اللاتي يفعلن ذلك، بل وأي جمال نجده في تلك التي وصلت شعرها بشعر مستعار مزيف، يجعلها غريبة الشكل، لعدم التناسق بينه وبين لون بشرتها غالباً، أضف إلى ذلك أن شكل الشعرة الصناعية يمكن تمييزه بسهولة، فيشعر الناظر إلى المرأة بزيفها وخداعها، فينفر منها، ويشمئز من شكلها.

وأي جمال نجده في الوشم الذي يعتبر مظهراً من مظاهر التخلف والذوق الهابط.

إن هؤلاء المغيرات خلق الله قد استجبن لإبليس اللعين، فلعنهن الله، فهن مطرودات من رحمته، خاسرات خسراناً مبيناً، ما لهن من مأوى إلا جهنم، ولا يجدون عنها محيصاً!

النامصات والمتنمصات:

ورد في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» في (باب المتنمصات):

«حدثنا إسحاق بن إبراهيم: أخبرنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن

علقمة قال: لعَنَ عبدالله الواشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله. فقالت أم يعقوب: ما هذا؟ قال عبدالله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وفي كتاب الله. قالت: والله لقد قرأت ما بين اللوحين[1] فما وجدته. فقال: والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾».

يقول ابن حجر:

«قوله (باب المتنمصات) جمع متنمصة، والمتنمصة التي تطلب النماص، والنامصة التي تفعله، والنماص: إزالة شعر الوجه، ويُقال: إن النماص يختص بإزالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتهما، قال أبو داود في السنن: النامصة التي تنقش الحاجب حتى ترقه.

قال الطبري:

لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها بزيادة أو نقص التماس الحسن، لا للزوج ولا لغيره، كمن تكون مقرونة الحاجبين فتزيل ما بينهما، ومن تكون لها سن زائدة فتقلعها، أو طويلة فتقطع منها، أو لحية، أو شارب، أو عنفقة(*) فتزيلها بالنتف، فكل ذلك داخل في النهي، وهو من تغيير خلق الله تعالى، قال: ويستثنى من ذلك ما يحصل به الضرر والأذية، كمن يكون لها سن زائدة تؤذيها أو تؤلمها فيجوز ذلك، والرجل في هذا الأخير كالمرأة، وقال النووي: يستثنى من النماص ما إذا نبت للمرأة لحية أو شارب أو عنفقة(*) فلا يحرم عليها إزالتها بل يُستحب. قلت: (والقول

---

(١) تقصد أنها قرأت القرآن كله فلم تجد فيه ذكر ذلك.

(*) العَنْفَقة: (ما بين الشفة السفلى والذقن منه لخفة شعرها، وقيل: العنفقة: ما بين الذقن وطرف الشفة السفلى كان عليها شعر أو لم يكن، وقيل. العنفقة: ما ينبت على الشفة السفلى =

لابن حجر) : وإطلاقه (أي إطلاق كلام النـووي السابـق ذكره) مقيد بإذن الزوج وعلمه وإلا فمتى خلا عن ذلك مُنع للتدليس» اهـ[1] .

وورد في كتاب «جواهر البخاري وشرح القسطلاني» :

«المتنمصات : جمع متنمصة : الطالبة إزالة شعر وجهها بالنتف ونحوه، وهو حرام إلا ما ينبت بلحية المرأة أو شاربها فلا ، بل يستحب»[2] .

وقد وردت أحاديث أخرى تفيد لعـن النامصـة والمتنمصـة ، منهـا ما أورده الحافظ ابن حجر الهيتمي من حديث لرسول الله ﷺ برواية ابن عباس قال : «لُعنت الواصلة ، والمستوصلة ، والنامصة ، والمتنمصة ، والواشمـة ، والمستوشمة من غير داء» أخرجه أبو داود وغيره[3] .

ويقول الإمام النووي رحمه الله :

«النامصة : هي التي تأخذ من شعر حاجب غيرها ، وترققه ليصير حسناً ، والمتنمصة : التي تأمر من يفعل بها ذلك»[4] .

ويقول ابن حجر الهيتمي :

«النامصة التي تنقش الحاجب حتى ترقه ـ كذا قـال أبـو داود ـ والأشهر ما قاله الخطابي وغيره أنه من النمص ، وهو نتف شعر الوجه»[5] .

= من الشعر . وقال الأزهري : هي شعرات من مقدمة الشفة السفلى) «لسان العرب» (مجلد ١٠ ص ٢٧٧) .

(١) «فتح الباري» (المجلد العاشر ـ ٨٤ ـ باب المتنمصات ، حديث رقم ٥٩٣٩) .

(٢) «جواهر البخاري وشرح القسطلاني» (ص ٤١٤) .

(٣) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» لابن حجر الهيتمي (الجزء الأول ـ ص ١٤١) .

(٤) «رياض الصالحين» للنووي (باب تحريم وصل الشعر والوشم والوشر) .

(٥) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (الجزء الأول ص ١٤٢) .

ولو تتبعنا معنى النمص في لغة العرب نجده كما يلي:

«النمص رقة الشعر ودقته حتى تراه كالزغب. رجل أنمص، ورجل أنمص الحاجب، وربما كان أنمص الجبين. والنمص: نتف الشعر، والنامصة: المرأة التي تُزين النساء بالنمص وفي الحديث: لُعنت النامصة والمتنمصة. قال الفراء: النامصة هي التي تفعل ذلك بنفسها قال ابن الأثير: وبعضهم يرويه المنتمصة بتقديم النون على التاء. وامرأة نمصاء أي: تأمر نامصة فتنمص شعر وجهها نمصاً أي تأخذه منه بخيط»[(١)].

وإن التنمص من الكبائر لقول ابن عباس:

«الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب»[(٢)].

وقد كثر الجدل النسائي حول معنى التنمص للبحث عن ثغرة لتحليله، تحايلاً على الدين، وتبريراً لذلك الفعل المعتبر من كبائر الذنوب بسبب لعن فاعلته، فتقوم معظم النساء بنتف شعر الوجه، أو ترقيق الحواجب، أو إزالة الشعر الذي بين الحاجبين على الأقل، وفي اعتقادهن أنهن يصبحن أكثر جمالاً وفتنة، مع أن شكل الحواجب المنتوفة لا يتناسب مع شكل الوجه الذي خلق الله أجزاءه بتناسب ودقة وإحكام، فما يجعل من نتفها إخلالاً بهذا التناسق البديع في خلقة الله، ولو تأملنا في وجه المرأة المتنمصة قبل وبعد النمص؛ لوجدنا أن وجهها قبل النمص أجمل وأقرب للنفس منه بعد النمص، حيث تبدو عندما تتنمص أكبر من عمرها، بالإضافة إلى ظهورها بمظهر النساء الفاسقات الماجنات.

ولكن من تصدق ما أقول، قد طمس الشيطان على أبصار وبصائر

---

(١) «لسان العرب» لابن منظور (الجزء الثامن ص ٣٧٠).

(٢) «صفوة التفاسير» للصابوني - (سورة النساء المجلد الأول ص ٢٧٢).

غالبية النساء فزيّن لهن هذا الفعل القبيح، هو وجنوده من البشر، الداعين الشباب والشابات إلى تطبيق الموضة حتى في شكل الحواجب استخفافاً بعقولهم، وإفساداً لهم، حتى أصبحنا نرى رجالاً يطلبون من الحلاق حفّ وجوههم بالخيط، مما يؤدي إلى إزالة بعض شعر الحاجبين كذلك، فيبدو وجه الرجل لامعاً، وكأنه وجه امرأة، فهل يريد الرجال منافسة النساء في الدخول إلى جهنم أم ماذا؟!

عن ابن عباس وعمران بن الحصين رضي الله عنهم عن النبيﷺ قال: «اطّلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطّلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء». متفق عليه.

ونجد أن جدل النساء يدور حول أن الحرمة المذكورة في التنمص هي لمن ترفع شعر الحاجب كله فلا تبقِ منه شيئاً ثم تخطط مكانه بالقلم، وهذا تصور خاطىء؛ لأن التنمص يحدث سواء أزالت المرأة قليلاً من الشعر أم أزالته كله، والحرمة واحدة في كلتي الحالتين.

وتحتج بعض النساء بأن أزواجهن لا يقبلوا ببقاء حواجبهن على خلقتها الأصلية، وتخاف هؤلاء النسوة من الطلاق لو أنهن خالفن رغبة الأزواج في ذلك!

وإنني لأجزم بأن هؤلاء النساء كاذبات في مزاعمهن، فهل يعقل أن يختلف زوجان إلى درجة الطلاق على بضع شعيرات أُزيلت أم أُبقيت كما هي؟!

وحتى بفرض صحة أقوالهن، أفلا يعلم هؤلاء النسوة، أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟! كما نجد بعضهن يُثرن الجدل حول حرمة إزالة الشعر بأداة معينة دون أخرى، مع أن نتف الشعر من الوجه والحاجبين يعطي

نفس النتيجة، سواء أكان النتف بالخيط أم بالملقاط، أو بالكهرباء أو بماكينة الحلاقة أو بأي وسيلة كانت.

فلتعلم كل من سوّلت لها نفسها من النساء، أو كل من سوّلت له نفسه من الرجال بالأخذ من شعر الحاجبين أو الوجه عموماً (وهذا هو الأحوط لورود بعض الأقوال التي تفسر التنمص بأنه نتف شعر الوجه عموماً)، أن هذا الفعل حرام، ومن كبائر الذنوب، حتى ولو أزالوا شعرة واحدة، ومهما كانت الأداة المستخدمة لذلك.

أما ما ورد من استثناء في نتف شعر الوجه، وهو ما نبت في موضع اللحية أو الشارب أو العنفقة؛ كما رأينا بجمع قولي الإمام النووي والحافظ ابن حجر، فإنه يتعلق بالمرأة المتزوجة فقط حيث يجوز لها نتف اللحية أو الشارب أو العنفقة بإذن زوجها منعاً للتدليس عليه وإلا فإن لم تستأذنه فإنه يحرم عليها ذلك.

كلمة أخيرة عن التنمص:

قرأت في كتاب «الفتاوى» للشيخ محمد متولي الشعراوي إجابته عندما سُئِل:

هل تجميل الحواجب حلال أم حرام؟ . . . فأفتى فضيلته بالقول: «منع الزائد كالشعرة الزائدة هو المطلوب ـ ثم ذكر الحديث النبوي الشريف: (لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله)» اهـ[1].

إننا نعلم جميعاً مكانة الشيخ الشعراوي في النفوس، وشهرته التي طبقت الآفاق، وإنني من ضمن المعجبات جداً بأحاديثه الجذابة وتحليلاته

(١) «الفتاوى» للشيخ محمد متولي الشعراوي ـ إعداد د. السيد الجميلي (ص ١٨٠).

الشيِّقة، ولكن هذا كله لا يمنع من ردي عليه، ولا يعتبر ردي هذا انتقاصاً لشأنه، أو طعناً في علمه، لأن البشر عرضة للخطأ، ومن هنا فإنه لا ينبغي أن نسلِّم بجميع أقوال عالم من العلماء؛ لمجرد أنـه شخصية مشهـورة! ففـي قوله: (منع الزائد كالشعرة الزائدة هو المطلوب) خطأ كبير؛ لأن كل ما يوجد في خط الحواجب أو يتصل به من أسفل أو أعلى أو ما بين الحاجبين فهو من شعر الحاجب، بل إنه من شعر الوجه عموماً الذي فُسِّر التنمص بنتفه!

فكيف بالله يبيح نتف الشعرة الزائـدة مع أن ذلك حرام؟ بل إن هذه الفتوى ستتلقفها بعض الجاهلات بالرضى والقبول، فتنتف من شعر حاجبيها بحجة أن ما تنتفه ـ في رأيها ـ شعيرات زائدة حتى وإن لم يكن الأمر كذلك.

ولو اكتفى الشيخ ـ حفظه الله ـ بذكر الحديث الشريف الـذي أورده لكان أجدى وأصلح!

وقد حدثني بعض النساء كذلك أنهن استمعن من الإذاعة إلى فتاوى تجيز ترقيق الحواجب، أو إزالة الشعر الذي ينبت بين الحاجبين، وأغلـب ظني أنهن فهمن العكس، وحتى لو صدقن في مزاعمهن؛ فإنه من الأولى لهن اتباع كتاب الله وسنة رسوله بتحريم تغيير خلق الله عن طريق التنمص، فقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنه ترك فينا شيئين لن نضل ما تمسَّكنا بهما، وهما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . . . فلم يتركنا لفكر البشر، وآرائهم يدسون علينا ما ليس في ديننا، والحق أحق أن يُتَّبع، وكذلك يجب على كل ولي أمر أو زوج منع من يلي أمورهن من النسـاء من تغيير خلقتهـن، سواء أكان ذلك بالتنمص، أو بباقي الوسائل الأخرى كالوصل والوشم . . . إلخ فيما سيأتي ذكره؛ لأنه راع ومسؤول عن رعيته يوم القيامة، وليتـأس الأزواج بالصحابـي الجليل ابـن مسعود الذي أعلن لامرأة شكّت في أن أهله تغير من خلق الله، بأنه لو فعلت زوجته ذلك لم يجامعها تأديباً لها حتى تقلع عن معصيتها المعتبرة من كبائر

الذنوب! فقد رُوي عن علقمة عن عبدالله رضي الله عنه قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله، قال: فبلغ ذلك امرأة في البيت يُقال لها: أم يعقوب، فجاءت إليه، فقالت: بلغني أنك قلت: كيت وكيت، فقال: ما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله عز وجل، فقالت: إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته، فقال: لئن كنت قرأتيه فقد وجدتيه، أما قرأت:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ .

قالت: بلى. قال: فإن رسول الله ﷺ نهى عنه، قالت: إني لأظن أهلك يفعلون ذلك، قال: اذهبي فانظري، فنظرت، فلم تَرَ من حاجتها شيئاً، فجاءت فقالت: ما رأيت شيئاً، قال: لو كانت كذلك لم تجامعنا»، ذكر محقق كتاب «أحكام النساء» في الحاشية:

«ولفظ مسلم (لم نُجامعها) أي لم نضاجعها، ولم نجتمع نحن وهي بل كنا نطلقها ونفارقها، انظر «صحيح مسلم» (٣/ ١٦٧٨ كتاب اللباس)، و «فتح الباري» (١٠/ ٣٧٢)»[١].

كما أوجه حديثي إلى كل امرأة تتردد في الإقلاع عن معصية التنمص وغيرها، بأنها إن أرادت فعل ذلك التماساً لرضى زوجها وزيادة إعجابه بها؛ فإن هذه الشعيرات التي إن رفعتها أو أبقتها ليست هي التي ستسعدها مع زوجها؛ بل إن القيام بواجبه، وأداء حقوقه، وحسن معاشرته، والاستجابة لرغباته واحترامه، واحترام أهله هو الذي يرفعها لديه في أعلى مقام، ويجعله يحبها ويحترمها، بل إن الحواجب وإن تخيلتها المرأة ذات شكل غير مقبول

(١) كتاب «أحكام النساء» للحافظ ابن الجوزي ـ تحقيق ودراسة وتعليق «علي بن محمد يوسف المحمدي» (ص ٣٤٠).

تصبح بالألفة مقبولة؛ لأن الأشخاص المعاشرين لها ـ خاصة زوجها ـ يألفونها مع الزمن فتصبح لديهم مقبولة الشكل، ومن العجيب؛ أن من الكثيرات منهن من يراها زوجها قبل الزواج (أيام الخطبة) وهي بخلقتها الطبيعية دون تنمص فتعجبه، ويتزوجها بالفعل، فيأبى عليها شيطانها إلا أن تغير من خلقة الله التي خلقها عليها بنتف حواجبها، وغير ذلك من وسائل تغيير الخلقة، بعد أن يزين لها الشيطان بدهائه ومكره هذا العمل القبيح ويوسوس لها بأنها لن تعجب زوجها إذا لم تنتف حواجبها، فأي جهل أقبح من ذلك؟!

إنني لأعرف فتاة جمعت من الدمامة ما لو وُزع على عدة نساء لكفاهن أن يصبحن دميمات بذلك، وأما عن حواجبها؛ فقد كانت غير متناسقة الشعر، فيبدو على هيئة دوائر متزاحمة وشعيرات نافرة مما يزيد من دمامتها في نظر البعض، ولكنها كانت ملتزمة بأوامر الله مرتدية للحجاب فرزقها الله زوجاً هو أبهى ما يكون عليه الشباب من خَلْقٍ وخُلُقٍ حسن، ولم يصبر على تأجيل زفافه حتى انتهاء الدراسة (لأنهما كانا يدرسان بالجامعة) بل تزوجا وهما في السنة الثانية من كلية الطب لشدة حبه لها وإعجابه بها، فمن الذي جمّلها في عينيه، فجعل دمامتها سحراً وجاذبية وجمالاً . . .؟ أليس هو الله الذي أطاعته، ولم تغير ما خلقها به من خلقة؟!

إن الجمال شيء نسبي لا يمكن أن نضع له مقاييس ونحدّ له حدوداً، وإنه لمن الجهل أن نحكم على إنسان ما بالقبح المطلق، فقد يجد هذا القبيح الشكل من الناس من يُعْجَبُ به، ويرى فيه ميزات ليست موجودة في غيره، وإن جمال الشكل إلى زوال، بينما يبقى جمال النفس والخُلق. ولله درُّ القائل:

ليس الجمال بمئزرٍ فاعلم وإن رُدّيتَ بُرْدَا
إن الجمال معادنٌ ومناقبٌ أورثْنَ حمدا

فلتعتبر المتنمصات بما ذكرته؛ لأن الجمال الحقيقي يكمن في الجوهر النقي لا القشور المزيفة، ولننظر هل وفّر التنمص وغيره من وسائل تغيير خلق الله حياة سعيدة رغيدة للمغيرات خلق الله؟ بالطبع لم يحدث ذلك، فلماذا إذن تخسر المرأة رضا الله وجنته من أجل تلك الأمور التي لم تنفعها دنيا ودين بل ضرّتها وأورثتها الخسران المبين؟! عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى». رواه البخاري.

أما عن الآثار الضارة طبياً لفعل التنمص؛ فهي واضحة وملموسة. يقول الدكتور وهبة أحمد حسن (كلية الطب ـ جامعة الاسكندرية):

«إن إزالة شعر الحواجب بالوسائل المختلفة، ثم استخدام أقلام الحواجب وغيرها من ماكياجات الجلد لها تأثيرها الضار، فهي مصنوعة من مركبات معادن ثقيلة مثل: الرصاص والزئبق، تُذاب في مركبات دهنية مثل: زيت الكاكاو، كما أن كل المواد الملونة تدخل فيها بعض المشتقات البترولية، وكلها أكسيدات مختلفة تضر بالجلد، وإن امتصاص المسام الجلدية لهذه المواد يُحدث التهابات وحساسية، أما لو استمر استخدام هذه الماكياجات؛ فإن له تأثيراً ضاراً على الأنسجة المكونة للدم والكبد والكلى، فهذه المواد الداخلة في تركيب الماكياجات لها خاصية الترسب المتكامل، فلا يتخلص منها الجسم بسرعة، إن إزالة شعر الحواجب بالوسائل المختلفة ينشط الحلمات الجلدية، فتتكاثر خلايا الجلد، وفي حالة توقف الإزالة ينمو شعر الحواجب بكثافة ملحوظة، وإن كنا نلاحظ أن الحواجب الطبيعية تلائم الشعر والجبهة واستدارة الوجه»[1].

(١) «المرأة المسلمة في وجه التحديات» لأنور الجندي (ص ٦٢).

وأعتذر عن الإطالة في موضوع المتنمصات: لأنهن من أشهر الفئات الساعيات لتغيير خلق الله، ولذلك وجب بيان الأمر بشيء من التفصيل؛ لتحصل الفائدة بعون الله.

الواصلات والموصولات:

وَهُنَّ فئة أخرى من المغيرات خلق الله.

«عن أسماء رضي الله عنها أن امرأة سألت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابنتي أصابتها الحصبة، فتمرق شعرها، وإني زَوَّجتها، أفأصل فيه؟ فقال: «لعن الله الواصلة والموصولة» متفق عليه، وفي رواية: «الواصلة والمستوصلة».

قولها: «فتمرق» هو بالراء، ومعناه انتثر وتساقط.

«والواصلة»: التي تصل شعرها أو شعر غيرها بشعر آخر.

«والموصولة»: التي يُوصل شعرها.

«والمستوصلة»: التي تسأل من يفعل ذلك لها.

وعن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية رضي الله عنه عام حجً على المنبر، وتناول قُصَّة من شعر كانت في يد حَرَسِيّ فقال: يا أهل المدينة! أين علماؤكم؟! سمعت النبي ﷺ ينهى عن مثل هذه ويقول: «إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم» متفق عليه.

قصة: خصلة. حرسي: شرطي.

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة» متفق عليه»[1].

---

(١) «رياض الصالحين» (باب تحريم وصل الشعر والوشم والوشر).

إن الوصل هو تغيير لخلقة الله بإضافة شعر خارجي للمرأة أو الرجل الراغبين في ذلك، وهو فعل قديم كما دلت عليه الأحاديث السابقة، حيث كان منتشراً بين نساء بني إسرائيل مما أوقعهم في الهلاك، وعرّضهم لغضب الله، فلتعتبر نساؤنا بما حدث لمن سبقنا من الأمم، وليمتنعن عن هذا الفعل الذميم.

ولقد تطور الوصل في العصر الحديث عن طريق استخدام ما يسمونه «باروكة» أو «بوستيجة»، ويكون الشعر المستخدم لذلك إما من شعر المرأة الأصلي الذي سبق قصه، وأعدته للاستعمال عند اللزوم، أو من شعر طبيعي لامرأة أخرى، أو من شعر حيوان أو كان شعراً صناعياً، وهو يثبت في الرأس ويُنزع بسهولة، أو يُلصق بفروة الرأس بواسطة مواد لاصقة وأدوية مثبتة، ويكون في معنى الوصل ما تستخدمه النساء من رموش صناعية؛ لأن سائر أنواع الوصل للشعر يعتبر حراماً، ويستثنى من ذلك وصل الشعر بالحرير أو الصوف أو الكتان أو الخيوط الملونة ونحوها مما لا يشبه الشعر؛ لأن المقصود به التجميل والتحسين لا تكثير الشعر بشعر آخر.

ذكر صاحب «سبل السلام»:

«فأما وصل الشعر بالحرير ونحوه من الخرق؛ فقال القاضي عياض: اختلف العلماء، فقال مالك والطبري وكثيرون: الوصل ممنوع بكل شيء سواءً وصلته بصوف أو حرير أو خرق، واحتجوا بحديث مسلم عن جابر أن النبي ﷺ «زجر أن تصل المرأة برأسها شيئاً» وقال الليث بن سعد: النهي مختص بالوصل بالشعر، ولا بأس بوصله بصوف، أو خرق، وغير ذلك»[1].

ويقول القاضي عياض:

---

(١) «سبل السلام» (الجزء الثالث ص ١٤٥).

«فأما ربط خيوط الحرير الملونة ونحوها مما لا يشبه الشعر؛ فليس بمنهي عنه لأنه ليس بوصل ولا هو في معنى مقصود الوصل، وإنما هو للتجمل والتحسين»[1].

ويقول الحافظ ابن الجوزي:

«قال أبو عبيد: وقد رخصت الفقهاء في القرامل وكل شيء وُصل به الشعر ما لم يكن الوصل شعراً».

ويقول محقق كتاب «أحكام النساء» لابن الجوزي تعليقاً على ما سبق:

«كذا في «غريب الحديث» لأبي عبيد (١/ ١٦٧)، وقال في «النهاية»: القرامل: ضفائر من شعر أو صوف أو إبريسم تصل به المرأة شعرها. والقرمل بالفتح: نبات طويل الفروع ليّن. انظر «النهاية» لابن الأثير (٤/ ٥١) وذكر ابن قدامة عن وصل الشعر بالقرامل روايتين عن أحمد:

إحداهما: الكراهة لحديث معاوية المتقدم، في تخصيص التي تصله بالشعر.

والثانية: المنع سواء كان الوصل بالشعر أو بالقرامل أو غير ذلك، لما روى مسلم من حديث جابر: «زجر رسول الله ﷺ أن تصل المرأة بشعرها شيئاً». وهو مذهب الجمهور، قال الحافظ في الفتح:

«ذهب الليث ونقله أبو عبيد عن كثير من الفقهاء أن الممتنع من ذلك وصل الشعر بالشعر، وأما إذا وصلت شعرها بغير الشعر من خرقة وغيرها، فلا يدخل في النهي. وأخرج أبو داود بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: «لا بأس بالقرامل». وبه قال أحمد.

---

(١) المصدر السابق وكذلك في «فقه السنة» (المجلد الثالث ـ ص ٤٩٦).

وفصّل بعضهم بين ما إذا كان وُصل به الشعر من غير الشعر مستوراً بعد عقده مع الشعر بحيث يُظن أنه من الشعر، وبين ما إذا كان ظاهراً، فمنع الأول قوم فقط لما فيه من التدليس، وهو قوي، ومنهم من أجاز الوصل مطلقاً، سواء كان بشعر أم بغيره إذا كان بعلم الزوج وبإذنه، وأحاديث الباب حجة عليه ا. هـ» راجع ما سبق «فتح الباري» (١٠ / ٣٧٥-٣٧٦)، و«المغني» و«الشرح الكبير» (١ / ٧٠ - ٧٦ - ٧٧)، و «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢ / ٣٥٥)»[1].

ويقول الأمير الصنعاني تعليقاً على حديث جابر عند مسلم: «زجر رسول الله ﷺ المرأة أن تصل شعرها بشيء» - يقول الأمير: «أقول: هذا عام لمن تصله بأي شيء حتى بالخرق ونحوها، وفسّر قتادة الرواية الثانية من حديث معاوية (يقصد بها ما رواه النسائي: أيما امرأة زادت في رأسها شعراً ليس منه فإنه زور تزيده فيه) بما تكثر به النساء شعورهن من الخرق. ثم يقول: وما ذهب إليه قتادة أقوى (يقصد أقوى من رأي غيره ممن أجازوا الوصل بالخرق) لما في حديث مسلم وفيه نساء كاسيات عاريات رؤوسهن كأسنمة البخت. قال الهروي: يعني بكبرهن وبعظمهن بلف عمامة أو عصابة أو نحوها - والأسنمة جمع سنام، وهو أعلى ما في الظهر. والبخت (بالموحدة مضمومة والخاء المعجمة ومثناه فوقية) ضرب من الإبل عظام السنام شبه رؤوسهن بأسنمتهن»[2].

الخلاصة في الوصل:

أولاً: نهى رسول الله ﷺ عن الوصل للشعر، وبين أن سبب النهي هو

---

(١) كتاب «أحكام النساء» لابن الجوزي - تحقيق ودراسة وتعليق «علي بن محمد يوسف المحمدي» (ص ٣٤٥ - ٣٤٦).

(٢) «حاشية الأمير منحة الغفار على ضوء النهار» (الجزء الرابع - ص ٢٠٢٣).

تغيير خلقة الله ، ومن المفهوم أن تغيير خلقة الله عما هي عليه تكون بإضافة الشعر الخارجي إلى الشعر الأصلي للإنسان ، أما أن تربط شعرها بأربطة وأشرطة رفيعة للزينة بحيث تبدو هذه الأشياء ظاهرة ونسبتها إلى الشعر قليلة ؛ فإنه لا يخفى على أحد أن هذه الأربطة ليست من أصل الخلقة التي خلق الله تعالى عليها البشر، بل هي للتجميل والتحسين فقط، لذا فإنني أُرجح أن وصل الشعر بالشعر الخارجي هو الحرام فقط؛ لأنه هو وحده الذي يسبب تغيير خلقة الله ، وبالمثل لو وضعت المرأة تحت شعرها خرقاً أو لفافات وغطتها بالشعر بحيث لا تبدو منه فإنه يحرم كذلك والله أعلم .

أما للتوفيق بين الأقوال المختلفة ؛ فإنني أقول إن حديث مسلم عن جابر «أن النبي ﷺ زجر أن تصل المرأة برأسها شيئاً» لا يعني مطلق الأشياء ، بل يمكن حمله على أن النبي ﷺ زجر أن تصل المرأة برأسها شيئاً من الشعر قلَّ أو كثر.

وقد توصلت إلى هذا المعنى من الأحاديث الأخرى التي يُفهم منها أن النهي متعلق بالوصل بالشعر فقط، وهي أحاديث صحيحة كذلك ، فلزم التوفيق بينها وبين ما يعارضها كما أسلفت ، ولما أخرجه أبو داود بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال : «لا بأس بالقرامل» .

أما أن تلف المرأة رأسها بعصائب وما يشبه العمائم فتكون رأسها كأسنمة البخت ؛ فإن هذا ليس بمعنى الوصل ، وإنما هو من قبيل التبرج بالزينة وتعظيم الهيئة ، وهو حرام كذلك ، ولكن ذلك لا يعني أن ندمج حرمته بحرمة وصل الشعر بشعر آخر، كما ذهب إلى ذلك الأمير الصنعاني ، بل إن لكليهما حرمة منفصلة عن الأخرى ، والدليل على ذلك ما جاء من الأحاديث من أن وصل الشعر قد اتخذه نساء الأمم السابقة قبل الإسلام : كنساء اليهود ، بينما ما ورد بشأن العصائب التي تجعل رأس المرأة كأسنمة البخت ؛

فهي صفة للنساء الكاسيات العاريات اللاتي لم يرهن رسول الله ﷺ، ولم يكنّ في زمانه.

ثانياً: يحرم على المرأة وصل شعرها بشعر آخر، حتى لو تساقط شعرها إثر مرض فيحرم الوصل مطلقاً في حال الصحة أو المرض، وسواء أكانت متزوجة أم غير متزوجة، وسواء أكان ذلك بإذن زوجها وعلمه أو بعدم إذنه وعلمه، فكل ذلك حرام.

ولا يُلتفت إلى أقوال بعض الفقهاء كالذي نقلته من التعليق في حاشية كتاب «أحكام النساء» أو ما ورد في بعض الكتب الفقهية عن جواز وصل الشعر بإذن الزوج فقط؛ لأن ذلك كله يبطله الحديث الصحيح. عن أسماء رضي الله عنها أن امرأة سألت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابنتي أصابتها الحصبة، فتمرق شعرها، وإني زَوَّجتها، أفأصل فيه؟ فقال: «لعن الله الواصلة والموصولة»، وفي رواية: «الواصلة والمستوصلة». متفق عليه. بالإضافة إلى ما ورد في كتاب «الزواجر»: «أخرج الشيخان: أن امرأة من الأنصار زَوَّجت ابنتها، فتمعط شعر رأسها، فجاءت إلى النبي ﷺ، فذكرت ذلك له، وقالت: إن زوجها أمرني أن أصل في شعرها. فقال: لا، إنه قد لُعن الموصولات»[1].

الواشمات والمستوشمات:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة» متفق عليه.

الوشم: «هو غرز إبرة ونحوها في الجلد حتى يسيل الدم، ويُذرُّ عليه كحل ونحوه حتى يخضر»[2]، وللوشم أسماء مختلفة، تختلف باختلاف البلاد

---

(١) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» للحافظ ابن حجر الهيتمي (الجزء الأول - ص ١٤١).

(٢) «فقه السنة» لسيد سابق (المجلد الثالث - ص ٤٩٤).

واللهجات، فيعرفه البعض باسم «الدق»، ويقوم الواشم أو الواشمة برسم أشكال مختلفة على الجلد في مناطق الوجه واليدين والذراعين غالباً، ثم يُغرز الجلد بالإبر حتى يسيل الدم من المنطقة المرسومة، فيُحشى الموضع بالكحل أو مواد أخرى، فيُرى بعد ذلك الشكل أخضر اللون، وتظل الرسوم ثابتة لا تزول، وكأن الإنسان خُلق بتلك النقوش، وهذا تغيير للخلقة الأصلية عما هي عليه ولهذا حُرِّم.

والتحريم يعم الرجال والنساء، وإن ورد الحديث موجهاً للإناث؛ فإنه لا يعني أن الذكور معفيون من العقاب حيث إن هناك الكثير من الأحاديث موجهة بصيغة المذكر، بينما هي تعم إناث المسلمين وذكورهم، وما دام الفعل واحداً، والغاية واحدة، فالحرمة واحدة، وهي تعم الفاعل والمفعول، كذلك أي من يقوم بإجراء الوشم للناس، ومن يُوشم جلده.

المتفلجات:

ورد ذكرهن في عدة أحاديث منها: ما سبق ذكره عن علقمة عن عبدالله رضي الله عنه قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله، قال: فبلغ ذلك امرأة في البيت يُقال لها: أم يعقوب، فجاءت إليه، فقالت: بلغني أنك قلت: كيت وكيت، فقال: ما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله عز وجل...» متفق عليه.

يقول الإمام النووي:

«المتفلجة: هي التي تَبْرُد من أسنانها؛ ليتباعد بعضها عن بعض قليلاً وتحسِّنها، وهو الوشر»[1].

ويقول الإمام ابن الجوزي:

---

(١) «رياض الصالحين» للإمام النووي (باب تحريم وصل الشعر والوشم والوشر).

«المتفلجات من الفلج، والفلج فُرْجَةٌ بين الثنايا والرباعيات، تفعل ذلك كله للتحسن»[1].

القاشرات والمقشورات:

«عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ «لعن الصالقة والحالقة والخارقة، والقاشرة». متفق عليه.

وعن آمنة بنت عبدالله أنها شهدت عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ: «يلعن القاشرة والمقشورة، والواشمة، والموتشمة، والواصلة والموصلة». أخرجه الإمام أحمد ومعناه في الصحيحين.

ورد في «حاشية كتاب أحكام النساء» لابن الجوزي وهي للمحقق علي بن محمد يوسف المحمدي: «قال في «النهاية»: القاشرة: التي تعالج وجهها أو وجه غيرها بالغمرة ليصفو لونها، والمقشورة التي يُفعل بها ذلك، كأنها تقشر أعلى الجلد، انظر: «النهاية» (٤ / ٦٤).

وفي «القاموس»: «قشور كصبور: دواء يُقشر به الوجه ليصفو، والمرأة القاشرة: التي تقشر وجهها ليصفو لونها»، ترتيب «القاموس المحيط» (٣ / ٦٢٤).

وقال أبو عبيد بعد أن ذكر الحديث: نراه أراد هذه الغمرة التي تعالج بها النساء وجوههن، حتى ينسحق أعلى الجلد، ويبدو ما تحته من البشرة، انظر «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣ / ١٢٣)»[2].

---

(١) كتاب «أحكام النساء» لابن الجوزي (ص ٣٤١).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٣٨، ٣٣٩).

الخلاصة

١ ـ إن التحريم المذكور في جميع الأصناف للمغيرات خلق الله يعم الرجال والنساء على حد سواء.

٢ ـ إن جميع وسائل تغيير خلق الله من تنمص ووصل ووشم وتفلج وقشر تعد من الكبائر؛ لأن من إمارات الكبيرة اللعن، وقد عُلمت صحة الأحاديث بلعن الكل، ومعلوم أن الكبائر توجب على فاعلها دخول النار.

٣ ـ إن التنمص هو أكثر معصية متفشية بين النساء، وقلما تسلم منه امرأة صالحة، أو فاسقة، وإن تفسيراته السابق ذكرها تدلنا على أنه إما أن يكون نتفاً لشعر الحاجبين بأي مقدار وكيفية، أو يكون نتفاً لشعر الوجه كله، وهذا يشمل بالتالي نتف شعر الحاجبين، فلا حجة للنساء في ذلك ممن يحاولن التحايل على الدين؛ لنتف حواجبهن.

٤ ـ يعم اللعن من يريد فعل تغيير خلق الله من تنمص ووصل وغيره، ومن يفعل له ذلك؛ لأن الإعانة على الإثم تجعل من المُعين آثماً، ولهذا لُعنت النامصة والمتنمصة والواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة والقاشرة والمقشورة، وبالمثل يكون التفلج قياساً على ما سبق.

٥ ـ يجوز التغيير للخلقة الزائدة التي تسبب الضرر والألم الجسدي لصاحبها، ويؤيد ذلك ما أورده ابن حجر الهيتمي من حديث لرسول الله ﷺ

برواية ابن عباس قال: «لُعنت الواصلة والمستوصلة والنامصة والمتنمصة والواشمة والمستوشمة من غير داء». أخرجه أبو داود وغيره[1]، كما ذكر السيد سابق:

«قال في نيل الأوطار: ظاهره أن التحريم المذكور إنما هو فيما إذا كان لقصد التحسين، لا لداء وعلة؛ فإنه ليس بمحرم. وظاهر قوله: «المغيرات خلق الله» أنه لا يجوز تغيير شيء من الخلقة عن الصفة التي هي عليها. قال أبو جعفر الطبري: في هذا الحديث (المختص بالمغيرات خلق الله) دليل على أنه لا يجوز تغيير شيء مما خلق الله المرأة عليه بزيادة، أو نقص التماساً للحسن، لا للزوج ولا لغيره، كما لو كان لها أسنان زائدة، أو عضو زائد، فلا يجوز لها قطعه ولا نزعه؛ لأنه من تغيير خلق الله، وهكذا لو كان لها أسنان طوال، فأرادت تقطيع أطرافها. وهكذا قال القاضي عياض وزاد: إلا أن تكون هذه الزوائد مؤلمة، وتتضرر بها، فلا بأس بنزعها».[2]

٦ ـ تقوم الغالبية العظمى من المتبرجات بتغيير خلق الله، فتضيف لمعصية التبرج تلك المعصية الكبيرة فتُطرد من الجنة وتوجب لها النار بسبب ذلك، وهذا مما يحقق أن معظم النساء أكثر أهل النار، فعلى النساء الحذر والرجوع عن تلك الأفعال الكبيرة الذميمة؛ لأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، فلا يستهترن بتلك الأمور التي تبلو صغيرة تافهة، بينما هي من كبائر الذنوب والأفعال، كما أنصح النسوة الصالحات بضرورة نبذ هذه الأفعال واجتنابها، حتى لا تتسبب في دخولهن النار، رغم صلاحهن بصفة عامة، فعليهن ألا يستجبن لإغواء إبليس اللعين، وليحذرنه أشد الحذر.

---

(١) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» لابن حجر الهيتمي (الجزء الأول ـ ص ١٤١).

(٢) «فقه السنة» لسيد سابق (المجلد الثالث ـ ص ٤٩٧).

حجج واهية للمتبرّجات والرّد عليها

إن التي سَمَتْ روحها، وعَلَتْ همتها، تبادر إلى الاستجابة لأوامر الله، وتنتهي عن نواهيه قائلة: سمعنا وأطعنا. . . أما من استحوذت عليها الشياطين، فانكفأت في هوّة المعاصي، وأحاطت بها الظلمات، فإنها تأبى الامتثال لله، والانقياد لحكمه قائلة: سمعنا وعصينا. . . ولا تكتفي بذلك، بل تورد الحجة تلو الحجة؛ لتبرر معاصيها وخطاياها، ولتضل غيرها من ضعيفات النفوس بتلك الحجج الشيطانية الخبيثة، ولتُسكت أصوات الآمرين لها بالمعروف والناهين لها عن المنكر. . . يقول الله تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠ ﴾(سورة الحج: ٨ ـ ١٠).

إن التبرج من كبائر المعاصي، والتي تجادل عنه تكون آثمة، فتكسب إلى جانب معصيتها الأصلية معصية أخرى هي الجدل الباطل في الله.

وقد رأيت أن أسوق غالبية ما تحتج به المتبرجات، وهي حجج تختلف من متبرجة لأخرى، عسى أن يكون في ردي عليها شعاعٌ من النور لتلك السادرة في الغيّ، الغارقة في الظلمات، كما أرجو أن يكون في ردي عليها

قبسٌ من المعرفة لتلك التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، عندما تصطدم بإحدى هذه الحجج؛ لكي تتمكن من الرد عليها وإبطالها.

الحجة الأولى:

من تدعي أن طهارة القلب، وسلامة النية يغنيان عن الحجاب:

إن التي تخرج عن تعاليم الإسلام، ثم تدّعي أن طهارة القلب وسلامة النية كافيان لرضاء الله عنها بغير حجاب ولا صوم ولا صلاة، أو غير ذلك من الأمور الشرعية التي لا يصح الإسلام إلا بتطبيقها؛ تعتبر جاهلة، فكأنَّ الله تعالى يوزع رحمته على الناس بمشيئتهم لا بمشيئته، أو أن الله العدل الذي حرَّم الظلم على نفسه، وجعله محرّماً بين الناس، قد تخلى عن صفاته (حاشَ لله) فأعطى المقصر والمسيء كالمحسن العامل!... معاذ الله، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا الذين يقولون إن الدار الآخرة خالصة لنا من دون الناس يوم القيامة!

إن الحقَّ جل شأنه قد بيَّن في سورة الفاتحة التي تُقرأ وتُكرر كل يوم في كل صلاة بأنه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ بعد قوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

إشارة إلى يوم الجزاء والحساب، الذي يتهرّب منه المقصّرون بزعمهم أن الله غفورٌ رحيم. حقاً إنه غفور رحيم، ولكن للتائبين لا للمذنبين المعاندين، وإلا فما فائدة الجزاء والحساب؟ ولماذا خُلقت الجنة والنار؟! يقول الله عز وجل:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ (سورة الزلزلة: ٧ ـ ٨).

ويقول جل شأنه:

﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٖۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ (سورة الأعراف: ١٥٦).

ويقول تعالى: ﴿... إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة الأعراف: ٥٦).

فالرحمة إنما تُنال بالعمل الصالح والتقوى والإحسان، وليس القلب قبراً يُدفن فيه الإيمان، ولا يظهر على صاحبه آثاره.

يقول الإمام محمد زكريا الكاندهلوي:

«يقول بعضهم: إن إصلاح القلب، وتزكية الروح، وتصفية الباطن هو الأصل في الدين، فإذا صفا القلب وطهر الباطن لا حاجة إلى إعفاء اللحية (مثلاً) والتقيد بزي من الأزياء. وقولهم هذا فاسد يناقض بعضه بعضاً؛ لأن القلب إذا صلح والباطن إذا طهر والروح إذا تزكى، لا محالة يكون السلوك وفق ما أمر الله تعالى بشأنه، ولا محالة أن تخضع جوارحه للاستسلام، وتنقاد أعضاؤه لامتثال أوامر الله والاجتناب عن نواهيه، ولا يجتمع صفاء الباطن وطهارة القلب مع الإصرار على المعصية صغيرة كانت أو كبيرة.

فمن قال إني أصلحت قلبي، وطهّرت روحي، وصفّيت باطني، ومع ذلك يجتنب عما أمر به النبيﷺ فهو كاذب في قوله، تسلّط عليه الشيطان في شؤونه، ثم إن تصفية الباطن لو كان كافياً لرضاء الله تعالى لما جاء النبيﷺ بالأوامر التي تتعلق بالأعضاء والجوارح، ولما نهى النبيﷺ عن منكرات يكثر تعدادها، ولما لعنﷺ المتشبهين بالنساء، والمتشبهات بالرجال، ولما

لعن الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة . . . إلى آخر ذلك»[1] .

وهل يعتقد هؤلاء أن الإثم شيء باطني ، فيُرجعون الصلاح أو الفساد إلى القلب فقط؟ ! لقد بيّن رب العزة أن هناك آثاماً ظاهرة ، وآثاماً باطنة ، ويتبين ذلك من قوله تعالى :

﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (الأنعام : ١٢٠) .

وإن الإنسان الذي يدّعي أن إيمانه القلبي يكفي لرضاء الله عنه بلا تنفيذ لأوامره ؛ هو كإبليس اللعين ، لأن إبليس كان مؤمناً بوجود الله ، متيقناً أنه هو الذي خلقه ، يقول تعالى :

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ (الأعراف : ١١ ، ١٢) .

وقد استقر في قلب إبليس أنه لا إله إلا الله ، وآمن بيوم البعث والنشور (يوم القيامة) ولذلك دعا ربه أن لا يحاسبه وقت بداية عصيانه ، بل يؤخره إلى يوم البعث ، كما أخبر الله تعالى عنه :

﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ (سورة الأعراف : ١٣ ـ ١٥) .

ولكن ما السبب أن الله تعالى كتب عليه اللعنة ، وحرّم عليه الجنة ،

---

(١) «وجوب إعفاء اللحية» للإمام محمد زكريا الكاندهلوي (ص ٤٧ ، ٤٨) .

ودمغه بالكفر؟ يبين الله تعالى السبب بقوله جلَّ شأنه:

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ (سورة صٓ: ٧٥ ـ ٧٨).

السبب أنه أبى الانقياد والامتثال لأمر الله! فكل من أبى الانقياد والامتثال لأمر الله فهو كإبليس، وإن صدّق بوجود الله والبعث والنشور، ومن لم يمارس الإيمان عملاً وتطبيقاً واستجابة لأمر الله فهو من أصحاب إبليس!

فكيف أيتها المتبرجة! تدّعين أن إيمانك يكفي لرضاء الله بينما ترفضين الانقياد لله الذي أمرك بعدم التبرج؟ فقال جلَّ شأنه:

﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٣).

الحجة الثانية:

من تدّعي أن الصوم والصلاة يغنيان عن الحجاب:

قد تدّعي المتبرجة أنها تصوم، وتصلي، وتتصدق على الفقراء، وذات خلق حسن، وأن الحجاب مظهرٌ من المظاهر الجوفاء ليست له أهمية ولا ضرورة.

كيف بالله تعتقد ذلك بينما يُعتبر الحجاب ونبذ التبرج فريضة من أهم ما فرضه الله تعالى على المرأة؟ إذ قرن النهي عن التبرج بالأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ

وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ (سورة الأحزاب : ٣٣).

وكيف بالله يمكن تمييز المسلمة المؤمنة عن غيرها من الفاسقات والمتبرجات والكافرات إلا بالحجاب الإسلامي؟ بل إن الالتزام بأداء الصلاة، والصيام، وغير ذلك مما أمر به الشرع من عبادات، وأركان يجب أن يلزمنا بفريضة الحجاب، فالله تعالى يقول:

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (العنكبوت : ٤٥).

إن الصلاة تهذب الخلق، وتستر العورة، وتنهى صاحبها عن كل منكر وزور، فيستحي أن يراه الله في موضع نهاه عنه، تنهاه عن الفحشاء والمنكر، وأي فحشاء ومنكر أكبر من خروج المرأة كاسية عارية مميلة مائلة ضالة مضلة؟ ولو كان الحجاب مظهراً أجوف؛ لما توعّد الله المتبرجات بالحرمان من الجنة، وعدم شمّ ريحها، ولما لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال.

إن الحجاب هو الذي يميز بين العفيفة الطائعة، والمتبرجة الفاسقة، ولو كان مظهراً أجوف؛ لما استحق كل هذا العقاب لتاركته، بل والأحاديث والآيات القرآنية الحافلة بذكره، بل ولما ترتب على تركه فسق الشباب وتركهم للجهاد، وكيف يلتفت الشاب المسلم إلى واجبه المقدس وهو تائه الفكر، منشغل الضمير، مشتت الوجدان، أقصى ما يطمح إليه نظرة من هذه، ولمسة من تلك؟!

وإن حال التي تستجيب لبعض أوامر الله، وتترك بعضها هي حال من ذمّهم الله تعالى بقوله:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ

﴿ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (سورة البقرة: ٨٥).

ولتتذكر هذه قول الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦).

الحجة الثالثة:

من تدعي أن حبها لله ورسوله كفيلان برضاء الله عنها بدون عمل:

إن رضاء الله تعالى على المرء يكمن في اتباع أوامره، واجتناب نواهيه، وما هذه الحال التي وصلنا إليها إلا بسبب أولئك الذين لا يعرفون من القرآن سوى رسمه، ومن الإسلام سوى اسمه، ويزعمون حب الله ورسوله فيقول قائلهم: «إن الله حبيبي، ولن يعذبني بعمل أو بدون عمل».

ومثل من يقول ذلك كمثل اليهود والنصارى الذين قال فيهم الله عزَّ وجل:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ (سورة المائدة: ١٨).

ويقول تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

(آل عمران: ٣١، ٣٢).

ولله درُّ القائل:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

يقول الشيخ محمد محمود الصواف:

«إن مجرد الانتساب إلى شيء من الأشياء، لا يحقق الأمل المرجو بالنفع من وراء ذلك الانتساب؛ ما لم يدعم بالعمل بمقتضى ما يحتمه عليك ذلك الأمر الذي انتسبت إليه، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة:

١ ـ لو انتسبت إلى دائرة ما، وعُينت فيها؛ فمتى تستحق أن تُسمى موظفاً وتأخذ الراتب المخصص لك؟ أليس المطلوب، أن تباشر العمل فعلاً، ويكتب رئيس دائرتك تاريخ مباشرتك؟ ثم تستمر في الدوام والعمل إلى نهاية الشهر لتقبض الراتب؟ فإذا لم تباشر بالعمل الذي عُينت له، ولم تداوم فهل تصبر الدائرة عليك؟ وهل تصرف لك راتباً؟

الجواب: لا، بالطبع حتى ولو صدر أمر إداري بتعيينك؛ فإن إلغاء الأمر وفصلك من دائرتك من أيسر الأمور.

٢ ـ لو انتسبت إلى معهد أو مدرسة، أليس المطلوب منك أن تحضر الدروس، وتداوم بانتظام وتهيء كل ما تأمرك به إدارة ذلك المعهد أو تلك المدرسة، فإذا عصيت أمر الإدارة، ولم تسمع لها قولاً، وخالفت قوانين وأنظمة المدرسة أو المعهد، فهل تبقى منتسباً إليه أم تفصل منه؟

لا شك أنك تُفصل، ولا ينفعك هذا الانتساب شيئاً.

٣ ـ لو انخرطت في سلك الجندية، وانتسبت إلى الجيش بصفة ضابط أو جندي، أليس المطلوب منك أن ترتدي البزة العسكرية؟ وتسمع وتطيع كل

أمر يصدر إليك من آمريك بـــدون تباطـؤ أو اعتـراض؟ فإذا لم ترتـدِ هذه البزة، أو ارتديتها ولكنك لم تقم بما يأمرك به آمـروك، ولـم تحافـظ علـى الطاعة والنظام العسكري، بل تخالف كل ما يفرضه عليك واجب الانتساب إلى هذا المسلك الشريف، فهل ترى أنك ستبقى متمتعاً بنعم هذا الانتساب، أم أنك تُفصل منه بأقل من لمح البصر، وتُحرم من كل الحقوق التي كنت تتمتع بها؟

أعتقد أنك ستحكم على نفسك بالفصل، إذ لم تبق أهلاً لهذا المسلك الكريم. وهكذا انتسابك إلى الإسلام: أنك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدﷺ نبياً ورسولاً.

أليس المطلوب منك أن تقوم بواجبات هذا الدين وتؤدي فرائضه وتُقيم أركانه، وتحقق انتسابك إليه بالقيام بأهم ما يأمرك به ـ والذي هو العلامـة الفارقة للمسلم كالبزة العسكرية للعسكري ـ ألا وهو الصلاة المكتوبة؟

أليس المطلوب منك أن تسمع لأوامر القرآن الكريم المنزلة من رب العزة والجبروت، وتعمل بها أمراً أمراً وأنت المنتسـب إلـى القـرآن وأمـة القرآن؟

أليس المطلوب منـك أن تهتـدي بهـدي نبيكﷺ، وتسير علـى نوره وتطيع أوامره أمراً أمراً، إذ أمرك الله بطاعته، ووصاك باقتفاء آثـاره؟ فإذا عصيت أمر ربك، وخالفت تعاليم نبيك، وجعلت القـرآن وراءك ظهـرياً، ونقضت عرى الإسلام عروةً عروةً، وآخر ما يُنتقض منها الصلاة، والصلاة قد نقضتها أيضاً، وضربت بها عرض الحائط، فهل ترى بعد هذا أنك تستحق أن تُسمى مسلماً؟ وهل ينفعك انتسابك المجرد شيئاً؟ وهل ستبقى منتسبـاً إلـى الدين أم أنك ستجرد منه وتُفصل عنه، ويكون بينك وبينه حواجز وحجب؟

الجواب عندي وعندك؟ وفي حكم الشريعة الغراء واضح بيِّن ومعروف» ا هـ[1].

وأقول: تخيلوا أن يذهب الطالب، أو الموظف في الأمثلة السابقة إلى مدير المدرسة أو العمل فيقولان له: إننا نحبك أشد الحب، ونخلص لك، وللعمل في قلوبنا، التي هي بيضاء نقية من ناحيتكم، ولكننا لن نعمل ما تأمرنا به... !!

تخيلوا ماذا سيكون رد فعل مدير المدرسة أو العمل أو المجتمع؟! لا شك أنه سيتهمهم بالسفاهة، والجنون فضلاً عن فصلهم!

فكيف ندعي حب الله ورسوله، وننتسب إلى الإسلام في البطاقات الشخصية، وشهادات الميلاد، وسائر الأوراق الرسمية، ونأبى إلا الابتعاد عن شرع الله، ثم ادعاء محبته ومحبة رسولهﷺ، فأي سفاهة أبلغ من ذلك؟!

الحجة الرابعة:

من تدّعي أن الحجاب تزمّت وتحتج بأن الدين يسر:

حدث أن رأتني إحدى المتبرجات أرتدي الحجاب الساتر لجميع الجسم على الصفة المأمور بها شرعاً في القرآن والسنة النبوية، فقالت لي:

لم تضيقين على نفسك، وأنت في عهد الشباب؟ فأجبتها بأن هذا ليس تضييقاً على النفس، وإنني أجد الراحة الكاملة عند تطبيقي لأوامر الله؛ لأن فيها الخير والصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

فعادت تقول لي: خففي عن نفسك، فإن الدين يسر!

(١) «تعليم الصلاة» للشيخ محمد محمود الصواف (ص ٢٠ - ٢٢).

قالت الجملة الأخيرة بلهجة تحمل معاني شتى، وكأنها تقول: «لا تتحجبي»، معتقدة أن من يسر الدين التخلي عن الحجاب، أو عن بعض شروطه على الأقل.

ولا شك أن هناك الكثيرات ممن يضعن عبارة «إن الدين يسر» في غير موضعها، فإليهن أقول: إن تعاليم الدين الإسلامي، وتكاليفه الشرعية جميعها يسر، لا عسر فيها، وكلها في متناول يد المسلم المكلف بها، وفي استطاعته تنفيذها، إلا ما كان من أصحاب الأعذار، فإن الله عز وجل قد جعل لهم أمراً خاصاً. يقول تعالى:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (سورة البقرة: ١٨٥).

وإن يسر الدين لا يعني إلغاء أوامره، وإلا فما الفائدة من فرضيتها، وإنما تُخفف لدى الضرورة فقط، وبالكيفية التي رخَّص لنا بها الله ورسوله، فمثلاً يجب على المصلي أن يصلي قائماً، ولكن إن لم يستطع القيام فليصلٍّ قاعداً، فإن لم يستطع فبالكيفية التي يقدر عليها، كما أن الصائم يُرخّص له الإفطار في رمضان إن كان مسافراً، أو مريضاً، ولكن لا بد من القضاء، أو الفدية في بعض الحالات، أو الفدية والقضاء في حالات أخرى، وكل ذلك من يسر الإسلام وسماحته، أما أن تُترك الصلاة، أو الصوم، أو غيرهما من التكاليف الشرعية جملة واحدة ونقول: إن الدين يسر، وما جعل الله علينا في الدين من حرج، فإن ذلك لا يجوز، وبالمثل الحجاب؛ فإن تركه لا يجوز، علماً بأن له رخصة كغيره من أوامر الشرع وهي أن الله تعالى وضع الجلباب عن القواعد(*) من النساء، وحتى في هذه الحالة اشترط عليهن عدم التبرج. قال تعالى:

(*) ارجع إلى ما ذكرته عن القواعد في الفصل الرابع من هذا البحث.

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ (سورة النور: ٦٠).

وبالرغم من إعطائهن هذه الرخصة إلا أن الله تعالى بيّن أن عدم أخذهن بها خيرٌ لهن، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾.

وما ذلك كله إلا لأنه من الضروري والمهم جداً أن ترتدي المرأة المسلمة الجلباب الذي يغطي جسمها كله بدون استثناء، والذي سنبين مواصفاته فيما بعد، فكيف تبيح النساء لأنفسهن التبرج والتعري وترك الحجاب بحجج واهية؟

وقد أدهشني بعد هذا كله أن تقول لي إحداهن: إن ارتداء الجلباب سنة وليس بفرض. تقصد (أن من ترتديه تكسب الثواب، ومن تمتنع عن ارتدائه لا تأثم أو تُعاقب من قبل الله).

وقد جهلت هذه أن الله أمر به، والأمر يستدعي الوجوب، وأن الأحاديث النبوية فرضته، وبينت أن التي ليس لها جلباب فإن عليها استعارة جلباب من أخت لها مسلمة وذلك للخروج لصلاة العيد، فما بالنا بخروجها إلى أي مكان آخر؟

كما أن التبرج يعتبر عكس التحجب، ومعلوم أن الأحاديث والآيات القرآنية حافلة بذمه واعتباره من كبائر الذنوب الموجبة لدخول النار، فهل بعد ذلك كله تجادل النساء في وجوبه وفرضيته؟!

الحجة الخامسة:

من تدّعي أن التبرج أمر عادي لا يلفت النظر:

وهذه حجة عجيبة تدّعي قائلتها أن التبرج الذي تبدو به المرأة كاسية عارية لا يثير انتباه الرجال، بينما ينتبه الرجال عندما يرون امرأة متحجبة حجاباً كاملاً يستر جسدها كله بدون استثناء، بما في ذلك الوجه والكفين، فيريدون التعرف على شخصيتها ومتابعتها؛ لأن كل ممنوع مرغوب!

ولهذه أقول: ما دام التبرج أمراً عادياً لا يلفت الأنظار، أو يستهوي القلوب، فلماذا تبرجتِ؟... ولمن تبرجتِ؟ ولماذا تحمّلتِ نفقات أدوات التجميل وأجرة الكوافير ومتابعة الموضات أنت وغيرك؟ حتى لقد حُسب ما تستهلكه النساء بملايين الجنيهات من العملات الأجنبية سنوياً والتي أثرت على الاقتصاد، وميزانية الدول العربية.

ولو كان كل ممنوع مرغوباً حقاً لرغب الناس في أكل لحم الميتة، والجيفة المنتنة، إذ أن ذلك مما يمنع الشرع من أكله.

وكيف يكون كل ممنوع مرغوباً، وأنت تأكلين الخبز يومياً، ومع ذلك ترغبين في أكله دائماً ولا تخلو منه مائدة أو وجبة من الوجبات؟ لو كان كل ممنوع مرغوباً حقاً؛ أو ما يعتاده الإنسان يزهد فيه لزهدنا في الخبز مثلاً.

وكيف يكون التبرج أمراً عادياً ونحن نرى أن الأزواج (على سبيل المثال) تزداد رغبتهم في زوجاتهم كلما تزيّنَّ وتجملن، كما تزداد الشهوة إلى الطعام كلما كان منسقاً، متنوعاً، جميلاً في ترتيبه، حتى ولو لم يكن لذيذ الطعم؟

ولو كان التزين أمراً عادياً لما تنافس الناس في تزيين البيوت وزخرفتها وفرشها بأفخر المفروشات، وكل ذلك لتتمتع أنظارهم، ولما تكبد الناس

مشاق السفر، وتكاليفه الباهظة في الرحلات إلى مختلف بلاد العالم، وكل ذلك للمتعة والتغيير، ويزداد سرورهم كلما شاهدوا في رحلاتهم مناظر جميلة وأشكالاً متنوعة.

بل لو كان التبرج أمراً عادياً لما نهى الله عنه، لأن الله هو الذي خلق الإنسان، ويعلم ما يصلحه وما يفسده، ولولا أن الفساد الحاصل من التبرج كبير لما نهى الله عنه، ولما جعله الله تعالى على لسان رسوله ﷺ من كبائر الذنوب.

أما أن العيون تتابع المتحجبة الساترة لوجهها، ولا تتابع المتبرجة؛ فلهذه أقول: إن المتحجبة تشبه كتاباً مغلقاً، لا تُعلم محتوياته، وعدد صفحاته، وما يحمله من أفكار، فطالما كان الأمر كذلك، فإنه مهما نظرنا إلى غلاف الكتاب، ودققنا النظر، فإننا لن نفهم محتوياته، ولن نعرفها، بل ولن نتأثر بها، وبما تحمله من أفكار، وهكذا المتحجبة، غلافها حجابها، ومحتوياتها مجهولة بداخله، وإن الأنظار التي ترتفع إلى نورها لترتد حسيرة خاسئة، لم تظفر بشروى نقير ولا بأقل القليل!

أما تلك المتبرجة؛ فتشبه كتاباً مفتوحاً تتصفحه الأيدي، وتتداوله الأعين سطراً سطراً، وصفحة صفحة، وتتأثر بمحتوياته العقول، وتفسد النفوس لكونه كتاباً يحمل فكراً منحرفاً، فلا يُترك حتى يكون قد فقد رونق أوراقه، فتثنت، أو حتى تمزق بعضها، إنه يصبح كتاباً قديماً لا يستحق أن يُوضع في واجهة مكتبة بيت متواضعة، فما بالنا بواجهة مكتبة عظيمة؟!

إن هذه المتبرجة كتاب منحرف لا يحمل علماً فاضلاً، ولا فكراً مستقيماً، وإنه وإن كان يعطي تأثيراً معيناً لدى ضعاف النفوس، فإن هذا الكتاب، وأمثاله مصيرهم معروف لدى كل إنسان عاقل مهذب مستقيم شريف.

تقول السيدة نعمت صدقي:

«لقد غفل الناس وخادعوا أنفسهم، فزعموا أن التبرج قد أصبح أمراً عادياً مألوفاً، لا يؤثر في الأخلاق، ولا يثير دفائن الشهوات.

كلا!... فإن الرجولة هي الرجولة، والأنوثة هي الأنوثة، وإن الجاذبية بين الرجل والمرأة هي الجاذبية الفطرية، لا تتغير ولن تتغير مدى الدهر، وهي شيء يجري في عروقهما، وينبه في كل من الجنسين ميوله وغرائزه الطبيعية، فإن الدم يحمل الإفرازات الهرمونية من الغدد الصمّاء المختلفة، فتؤثر على المخ والأعصاب، وغيرها من الأعضاء، وهذه قواعد فطرية طبيعية لم تتغير من يوم خلق الله الإنسان، ولن تتغير حتى تقوم الساعة، ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣٩) ﴾ (سورة القيامة: ٣٧ ـ ٣٩). ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (سورة فاطر: ٤٣). ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ (سورة الروم: ٣٠)»[1].

وإليكم شهادة من طبيب تكذّب الزعم القائل بأن التبرج أمر عادي:

يقول الدكتور السيد الجميلي:

«أودع الله الشبق الجنسي في النفس البشرية سراً من أسراره، وحكمة من روائع حكمه جلَّ شأنه، وجعل الممارسة الحسية من أعظم ما ينزع إليه العقل والنفس والروح، وهي مطلب روحي وحسي وبدني، ولو أن رجلاً مرت عليه امرأة حاسرة سافرة على جمال باهر، وحسن ظاهر، واستهواء بالغ، ولم يخف إليها، وينزع إلى جمالها، يحكم عليه الطب بأنه غير

---

(١) «التبرج» لنعمت صدقي (ص ٢٣ ـ ٢٩) باختصار.

سوّي، وتنقصه الرغبة الجنسية، ونقصان الرغبة الجنسية ـ في عرف الطب ـ مرض يستوجب العلاج والتداوي، ناهيكم عن انعدام الرغبة تماماً. . . وهذا بدوره مرض عضال»[1].

أقول: هذه الشهادة من طبيب حجة على من يزعمون أن خروج المرأة كاسية عارية بدون حجاب لا يثير الشهوات، ولا يحرك النفوس، واعتبروه أمراً عادياً، وكذبوا، فإن أعلى نسبة من الفجور، والإباحية، والشذوذ الجنسي، وضياع الأعراض، واختلاط الأنساب قد صاحبت خروج النساء متبرجات كاسيات عاريات، وتتناسب هذه النسبة تناسباً طردياً مع خروج النساء على تلك الصورة المتحللة من كل شرف وفضيلة، بل إننا نجد أعلى نسبة من الأمراض الجنسية، ومنها: مرض الإيدز القاتل الذي انتشر حديثاً في الدول الإباحية التي تزداد فيها حرية المرأة تفلتاً، وتتجاوز ذلك إلى أن تصبح همجية وفوضى! ناهيك عن الأمراض والعقد النفسية التي تُلجىء الشباب للانتحار بأعلى النسب في أكثر بلاد العالم تحللاً من الأخلاق، وأعظمها إباحية وفوضى كالسويد، وغيرها من دول الغرب!

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

«إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة، ولا تُستثار، فعمليات (الاستثارة) المستمرة تنتهي إلى سُعار شهواني، لا ينطفىء ولا يرتوي، والنظرة الخائنة، والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة، والجسم العاري، كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون.

ولقد شاع في وقت من الأوقات أن النظرة المباحة، والحديث الطليق،

---

(١) «الفتاوى» للشيخ محمد متولي الشعراوي ـ شارك في الإعداد الدكتور السيد الجميلي (ص ٣٠، ٣١).

والاختلاط الميسور، والدعابة المرحة بين الجنسين، والاطلاع على مواطن الفتنة المخبوءة... شاع أن كل هذا (تنفيس) وترويح، ووقاية من الكبت، ومن العقد النفسية... شاع هذا على أثر انتشار بعض النظريات المادية القائمة على تجريد الإنسان من خصائصه التي تفرقه عن الحيوان، والرجوع إلى القاعدة الحيوانية الغارقة في الطين ـ وبخاصة نظرية فرويد ـ ولكن هذا لم يكن سوى فروض نظرية.

رأيت بعينيّ في أشد البلاد إباحية، وتفلتاً من جميع القيود الاجتماعية، والأخلاقية، والدينية، والإنسانية ما يكذبها، وينقضها من الأساس... نعم شاهدت في البلاد التي ليس فيها قيد واحد على الكشف الجسدي، والاختلاط الجنسي بكل صوره وأشكاله؛ أن هذا كله لم ينتهِ بتهذيب الدوافع الجسدية، وترويضها، إنما انتهى إلى سعار مجنون لا يرتوي، ولا يهدأ إلا ريثما يعود إلى الظمأ والاندفاع.

وشاهدت من الأمراض النفسية، والعقد التي كان مفهوماً أنها لا تنشأ إلا من الحرمان، شاهدتها بوفرة، ومعها الشذوذ الجنسي بكل أنواعه، ثمرة مباشرة (للاختلاط) الذي لا يقيده قيد، ولا يقف عنده حد.

إن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق، وإثارته في كل حين تزيد من عرامته، فالنظرة تثير، والحركة تثير، والضحكة تثير، والدعابة تثير، والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات، وذلك هو المنهج الذي يختاره الإسلام، مع تهذيب الطبع، وتشغيل الطاقة البشرية بهموم أخرى في الحياة، غير تلبية دافع اللحم والدم» اهـ[1].

---

(١) «في ظلال القرآن» لسيد قطب (ص ٢٥١١) باختصار.

الحجة السادسة :

من تدّعي أن الحجاب عادات جاهلية أو رجعية :

وهذه الحجة تتداولها ألسنة التقدميين من رجال ونساء، فهم يزعمون أن الحجاب كان من عادات العرب في الجاهلية؛ لأن العرب طُبعوا على حماية الشرف، ووأدوا البنات خوفاً من العار، فألزموا النساء بالحجاب تعصباً لعاداتهم القبلية التي جاء الإسلام يذمها ويبطلها، حتى أنه أبطل الحجاب!

ولهؤلاء أقول: إن الحجاب الذي فرضه الإسلام على المرأة لم يعرفه العرب قبل الإسلام، بل لقد ذم الله تعالى تبرج نساء الجاهلية، فوجّه نساء المسلمين إلى عدم التبرج مثلهن. فقال جلّ شأنه:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٣).

كما أن الأحاديث الحافلة بذم تغيير خلق الله أوضحت لنا أن وصل الشعر، والتنمص كان شائعاً في نساء يهود قبل الإسلام، ومن المعروف أنه مما تستخدمه المتبرجات، صحيح أن الإسلام أتى فأبطل عادات ذميمة للعرب، ولكن بالإضافة إلى ذلك كانت لهم عادات حميدة أقرها الإسلام، فلم يبطلها، كإكرام الضيف، وغير ذلك، وكان من ضمن عاداتهم الذميمة خروج النساء متبرجات كاشفات الوجوه والأعناق... باديات الزينة، ففرض الله الحجاب على المرأة بعد الإسلام، ليرتقي بها، ويصون كرامتها، ويمنع عنها أذى الفساق والمغرضين، وإننا ونحن نتحدث عن العرب في جاهليتهم أقول: إن العصر الحديث شهد جاهلية كبرى وانتكاسة عظمى لم تشهدها العصور السابقة، ولا حتى العرب في جاهليتهم، إننا مسلمون نؤمن

بديننا، ونقدس تعاليمه، ونحب ربنا ونبينا أكثر من حبنا لأنفسنا، ولن نتأثر بدعاوى الجاهلية الحديثة التي هي أشد من جاهلية أبي جهل، فإذا كان التبرج في الجاهلية الأولى يتضمن إظهار المرأة لوجهها وعنقها وحليها فقط، وتمشي بين الرجال بهذه الهيئة، فإنه في الجاهلية المعاصرة أصبحنا نرى المرأة لا تكاد تغطي شيئاً من حرمات الله، ونسيت أنها في حد ذاتها حرمة من حرمات الله، وحد من حدوده، لا يجوز أن يقربها أحد إلا أن يكون زوجها، ولا أن يرى زينتها أحد إلا أن يكون ممن بَيَّنَهُم الله عزَّ وجل في هذه الآية الكريمة:

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ (سورة النور: ٣١).

ولست أدري كيف تسول لإنسان نفسه أن يتبجح على خالقه، ويرمي ما أمر به من ستر وصيانة وعفة وطهارة بأنه رجعية؟ ولماذا هذه الحملة المسعورة على الحجاب الإسلامي بالذات، ولا يتكلم أحد عن حدائق العراة، وبيوت الدعارة في كثير من ديار المسلمين؟

تقول يمان السباعي:

«لا أدري كيف يتأثر هؤلاء بالموقف؟! فإذا كانت بنات أم عمارة

وسمية وخديجة راضيات بلباسهن الذي لا يعيقهن عن أن يكن رجعيات!!! فما الذي يضايق التقدميين في ذلك؟ وإذا كنا نضع الحجاب، ولا نتأفف منه، فما الذي حشرهم في قضية فردية شخصية كهذه؟!»[1].

ومن العجيب أن نسمع منهم الدعوة إلى الحرية الشخصية وتقديسها، فلا يجوز أن يمسها أحد، فلماذا يتدخلون في حرية غيرهم في ارتداء ما شاءوا من الثياب؟!

إنها الحرب المسعورة الشعواء على كل ما يتعلق بالشريعة الإسلامية، من أناس ليس لديهم مبدأ ولا شرف ولا كرامة، يسيرون وفق أهوائهم، ويعتنقون ما يوافق شهواتهم، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون.

إن الرجعية الحقيقية هي ما عليه هؤلاء التقدميين من إلحاد وإنكار للبعث والحساب، بل لوجود الخالق، وتأليههم للطبيعة والأفراد، وكل هذه الأمور، والأفكار الوثنية كانت قبل الإسلام، ولما كان كل ما بعد الإسلام هو في نظرهم رجعي، إذ أنهم يعتبرون أن التمسك بتعاليم الأديان (ومن أبرزها تعاليم الإسلام) رجعية، فلنكن رجعيين، لكنهم أشد منا تأخراً ورجعية؛ لأن ما هم عليه من رجعية سبقت ما نحن عليه من رجعية، وأكرِم برجعيتنا من رجعية فنحن رجعنا إلى الشرف والعفة والفضيلة، وهم رجعوا إلى الفساد والطغيان والرذيلة.

يقول الدكتور البوطي:

«إن التخلف له أسبابه، والتقدم له أسبابه، وإقحام شريعة الستر والأخلاق في الأمر خدعة مكشوفة، لا تنطلي إلا على متخلف عن مستوى الفكر والنظر»[2].

---

(١) «الراقصون على جراحنا» ليمان السباعي (ص ١٣).

(٢) «على طريق العودة إلى الإسلام» للبوطي (ص ١٦٩).

ومنذ متى كان التقدم والحضارة متعلقين بلباس الإنسان؟

إن الحضارة والتقدم والصعود إلى القمر كان نتيجة أبحاث توصل إليها الإنسان بعقله وإعمال فكره، ولم تكن بثوبه ومظهره، لقد دفع المفسدون المرأة التي كانت تُعرف بالمرأة المسلمة إلى الحضيض؛ عندما زعموا أن ما هم عليه من تأخر وجمود كان بسبب التزامها بالحجاب، حتى خلعت ثيابها شيئاً فشيئاً أمام تشجيعهم وتمجيدهم، بدءً من كشفها لوجهها، وانتهاءً بظهورها شبه عارية في المواخير، والمراقص، والملاهي، والنوادي، وشواطىء البحار، والمتنزهات، وحمامات السباحة، والمطاعم، والشوارع، وفي كل مكان.

ها قد خرجت المرأة كما تشتهون يا زعماء الإفساد! الذين سمّاكم الله الفجار وسميتم أنفسكم زعماء الإصلاح ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾ (سورة البقرة: ١١، ١٢).

ها قد خرجت المرأة يا دعاة السوء ورؤوس النفاق! كاسية عارية فهل تقدمنا؟ لا بالطبع، بل رجعنا إلى الوراء، وازدادت حالتنا سوءاً... خرجت المرأة متبرجة فانهار البنيان الاجتماعي، وعمَّ الفساد، والفجور، وازدادت كوارثنا الاقتصادية، والاجتماعية، والصحية، والسلوكية، والسياسية، والخلقية، من جميع الوجوه.

وإنه من العجيب أن نجد أن انهيار الاقتصاد في الدول الإسلامية والعربية قد صاحب خروج المرأة للعمل، كما أنه كلما زادت نسبة النساء العاملات فيها كلما ازداد الانهيار وتضاعفت الديون، وأصبحت رقاب العرب والمسلمين في أيدي أعداء الله، مما يدل على أن خروج المرأة

متبرجة، وخروجها للعمل يؤدي إلى الخسارة، وسوء الإنتاج، ولا دخل له في التقدم والتحضر، وإنما له أكبر الأثر في التردي والتخلف!

ونقول لهؤلاء التقدميين (نحو الحضيض): ها أنتم تستجدون الدول التي شغّلت عقولها، وامتصت خيراتكم، وتحكمت في بلادكم، ورقابكم، فصارت بذلك دولاً صناعية كبرى، فأيقظوا عقولكم التي تحجرت على البلادة والخمول واللهو والترف والخمر والنساء؛ لتلحقوا بهم وتمسكوا بشرع الله؛ لتُفتح لكم خزائن الأرض فتسبقوهم، أيقظوا العقول لا الشهوات، إنكم أخذتم عنهم أسوأ ما عندهم، وظننتم أنه السبيل إلى التقدم، وهم أخذوا أحسن ما عندنا، كان العلم والمدنية بأيدينا يوم كانت أوروبا غارقة في الظلام، تحرق العلماء بتهمة الإلحاد، ويوم كانت الدول الكبرى بالشرق والغرب دولاً صغرى لا تحس منهم من أحدٍ، أو تسمع لهم ركزاً(*).

لقد هزم المسلمون الأوائل الدولتين العظيمتين في عصرهم (فارس والروم) وتقدموا عليهم، وأذلوهم، وصنعوا أزهى حضارة عرفتها البشرية باتباع شرع الله، لا بالفرار منه. هذه الحضارة التي أضاعها من خلف من بعدهم عندما اتبعوا الشهوات، وانصرفوا عن تعاليم دينهم!

الحجة السابعة:

من تحتج بأنها ستتحجب عندما تقتنع أولاً:

وهذه الحجة تكاد تكون وباءً متفشياً بين المتبرجات، أو أن بينهن شبه إجماع على الاحتجاج بها، وقد وجدت في كلمات السيد سلمان مندني خير رد على هذه الحجة حيث يقول:

(*) ركزاً: صوتاً خفياً لا تكاد تسمع معه صوتاً.

«إن الاقتناع قضية سببية، يجد فيها الإنسان دافعاً لقبول الموضوع المطروح على ذهنه، فإن اقتنع به مال إليه هواه دونما تردد أو إرجاء، والاقتناع قوة بيد الإنسان، يرى فيها الدليل، والحجة على أخذ الموضوع أو رفضه، وآيات الله تبارك وتعالى، وأحاديث رسوله ﷺ تأتي في أي قضية مطروحة؛ لتقطع قول كل حكيم، وتُنهي كل جدل عظيم، فلا تفكير، ولا اختيار، ولا تردد بعد ذلك في أمر أغنى الشرع الناس فيه عن الاختيار ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

فقضاء الله للأمر رحمة يرحم الله بها عباده في شأن من شؤون حياتهم، فإن أصرَّ الإنسان على الجدل بعد ذلك؛ فما الجدل في حقيقته إلا رفض أوامر الله ونواهيه تحت دعوى التفكير وحرية التفكير.

ولو نظر الإنسان في إيمانه لعرف السبب! فالإيمان هو الفيصل في هذه القضية، وقد ربطت الآية المذكورة بين الإيمان وبين قبول الأمر المقضي، فالمؤمن والمؤمنة لا يختاران على اختيار الله ورسوله؛ لأن ذلك سفه وجهل، وأما غير المؤمن والمؤمنة؛ فإنهما يختاران على اختيار الله ورسوله، فهذه إذن قضية إيمانية بحتة مهما تفلسف فيها المتفلسفون، وحاول تبريرها العاجزون.

ثم يقول: وقضية الاقتناع التي تطرحها المرأة اليوم في أمر الحجاب قول فيه جهل وغرور، فمن أين يأتي الاقتناع؟ هل سيأتي من بحث ودراسة وتحليل آيات الله وحديث رسوله، أم أن المرأة تنتظر أن تنزل عليها آية من السماء، أو أن يُوحى إليها، فيترتب على ذلك اقتناعها بأمر الله؟ ونقول لها: إن لم تقنعك آيات الله وحديث رسوله ﷺ فلن تقتنعي إذن أبداً، فإن أطعت وهو أحرى بك فإنك من المؤمنات الطائعات الحييات من الله، وإن لججت

في القول فهو الضلال، وعمى البصر والبصيرة»[1].

وأقول هل كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي تنزَّل من لدن حكيم خبير، أو أن أقوال رسول الله ﷺ بحاجة إلى رأي المتبرجة القاصر وجهلها المركب؟ إن الله لغني عنها وعن اقتناعها، أتحسب أن أوامر الدين ونواهيه بضاعة تقتنع بشراء بعضها وترك البعض الآخر؟! ألا نستحي هذه وهي ترفض أوامر الله بحجة أنها لم تقتنع بها بعد؟

إنها أوامر من أوجدكِ من العدم، وخلقك خلقاً بعد خلق، ورزقك من الطيبات، إنها أوامر من وهبك العقل الذي تريدين أن تستلهمي منه الاقتناع، فأي جحود ونكران لفضل الله هذا؟!

إن في آيات الله الشفاء لك من جميع الآفات الاجتماعية والنفسية وغيرها، هبي أن طبيباً وصف لك دواءً وأمرك بشربه، هل ستقولين له: لن أشربه حتى أقتنع بأنه سيشفيني؟ . . . إنني لواثقة أنك لن ترددي في شربه رغم أنه ليس مضموناً أن يشفيك من المرض، ولكنك لم تتشككي، ولم ترددي؛ لأنك ظننت أن في كلام الطبيب الصدق، وأن في إطاعة أوامره صلاح جسدك وشفائك، فكيف بالله ترددين في قبول أمر من خلقك وخلق الطبيب، ولم تصدقي أن في أمره الخير والفلاح والصلاح؟!

وإذا كنتِ لم تقتنعي حتى الآن بالحجاب الذي يضمن لك العفة والفضيلة؛ فهل اقتنعت ورضيت بالتبرج والانحلال والرذيلة؟! يقول تعالى:
﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة الجاثية: ٦ ـ ٨).

---

(١) عن مقال «الحجاب وقضية الاقتناع» لسلمان مندني ـ صحيفة المسلمون العدد ـ ٥٣ ـ السبت ٢٩ جمادى الأولى ـ ٥ جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ / ٨ ـ ١٤ فبراير ١٩٨٦ م.

وأوجه إليكِ يا من اتبعتِ هواكِ، وعصيتِ أمر ربك قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (سورة الجاثية: ٢٣).

وقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ (سورة الفرقان: ٤٣، ٤٤).

الحجة الثامنة:

من تحتج بعدم التحجب بسبب سوء سلوك(*) بعض المتحجبات:

إن الحجاب فريضة من فروض الدين، كما أن الصوم فريضة، وأن الصلاة فريضة، وقد يحدث أن يرتكب المسلم أو المسلمة بعض الأخطاء التي لا تتفق مع مبادىء الإسلام، كأن يصلي المرء ويأكل أموال الناس بالباطل، أو يسعى بالفساد بين الناس، بل ربما يتخذ الصلاة وغيرها من أوامر الدين وسيلة يتستر بها على أفعاله الخبيثة، وهذا كله حرّمه الله تعالى ولا يرضى به، ولكنّ الله فتح باب التوبة للجميع، وشرع الاستغفار لعلمه أن البشر عرضة للخطأ. قال تعالى:

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ (سورة النساء: ١١٠).

وعن أبي موسى عبدالله بن قيس الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار

(*) اقصد بسوء السلوك سوء المعاملة، وليس السلوك الأخلاقي المتعلق بالعفة والعرض.

ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه مسلم .

وإن المتحجبة بشر تخطىء وتصيب كذلك ، وليس المقصود من الحجاب هو عصمة صاحبته من الخطأ ؛ لأن كل ابن آدم خطّاء ، وخير الخطائين التوابون ، وإن كنت أدعو كل متحجبة بأن تبتعد عما تقع فيه الكثيرات من الأخطاء : كالغيبة ، والنميمة ، وغير ذلك ، وأن تجتهد في أن لا يراها مخلوق إلا حيث أمر الله تعالى ، مع اجتناب نواهيه ، لأن صورتها في الأذهان تختلف كثيراً جداً عن صورة غيرها من المسلمات غير المتحجبات .

وإنني هنا لا أدافع عن أخطاء بعض المتحجبات أو حتى أهاجمهن ، بل أريد أن أوضح أن نظرتنا للمتحجبة ؛ يجب أن تكون نظرة موضوعية ، فلا نظن أنها بتحجبها تكون قد طبقت جميع أوامر الدين ، وأنها أصبحت بمنأىً عن الخطأ .

وأحب أن ألفت النظر هنا ؛ أنه ما دام الحجاب فريضة على كل مسلمة ؛ كالصلاة ، وغيرها ؛ فإنه من الخطأ أن نعتبر أن كل متحجبة فقيهة في أحكام الدين (مع أنني أتمنى أن تكون كذلك) ؛ لأنني رأيت من النساء من تكون لها مسألة فقهية ، تريد الاستفسار عنها ، فتلجأ إلى فتاة متحجبة مع أنها يجب أن تلجأ إلى من عنده علم بالفقه ؛ لأن المتحجبة قد اتبعت أوامر الله تعالى فحسب ، وليس معنى ذلك أن يكون علمها بالشرع قد اكتمل ، وأنها مؤهلة للفتيا ، فلتحترس الأخوات المتحجبات من الفتيا بغير علم لحرمة ذلك ، ولا تخجل أن تقول لمن تستفتيها لا أدري ، فإن هذه العبارة قالها من قبل من هم خيرٌ منا ، من فقهاء المذاهب الأربعة المعروفة ، إلا إذا كانت متفقهة فعلاً ، فتجيب عمّا تُسأل عنه فيما تعلمه .

ويجب ألا نُصدم لأقل بادرة سيئة تصدر عن متحجبة ، فنتهم جميع المتحجبات بذلك ، أو نرمي جميع أوامر الدين بأنها غير صالحة ، لأن من

المتحجبات من قد تخطىء في بعض الأمور (وأكثر أخطائهن لسانية: كالغيبة والنميمة مثلاً، فليحذرن من ذلك أشد الحذر).

وإن التي تمتنع عن التحجب بأن تجعل من إساءة السلوك عند بعض المتحجبات حجة لها في ذلك نقول لها: إن المتحجبة المسيئة بشرٍّ أساءتْ، وأنت بشر أسأتِ، فهي بإساءتها آثمة إلى أن تتوب، وأنت بإساءتك آثمة إلى أن تتوبي، ومن قال لك أن تتخذي من الباقيات قدوة، أو تنظرين إليهن نظرتك إلى الدين كله؟

إن الدين في كتاب الله وسنة رسوله لا في فلانة وفلان، المعرضين للخطأ ليلاً ونهاراً، وإن وجدت في البعض قدوة سيئة؛ فإن غيرهن الكثيرات والكثيرات ممن يعتبرن قدوة صالحة، ويا حبذا لو تحجبت وكنت قدوة صالحة لغيرك؛ بدلاً من أن تتجمدي على معاصيك، ولا تحاولي تغييرها.

الحجة التاسعة:

من تدّعي أن الحجاب يعيقها عن العمل أو التعليم:

هناك من النساء العاملات من لا تلتزم بالحجاب الذي فرضه الله تعالى (وهو تغطية الوجه مع ستر الجسد كله، فلا يبدو منها شيء) بحجة أنه يعيقها عن العلم أو العمل، ولهذه المتبرجة المتعلمة أو العاملة أقول:

أما رأيت أن الطبيب أو الطبيبة، أو الممرضين أو الممرضات الذين يدخلون إلى غرفة العمليات؛ لإجراء أدق عمل وهو العملية الجراحية مكممي الوجوه، فلا تبدو سوى أعينهم، وكأنهم يرتدون النقاب؟ بغض النظر عن الهدف من ذلك (وهو منع الجراثيم من الانتشار من الطبيب ومعاونيه إلى موضع الجرح، أما النقاب الإسلامي فهو لستر وجه المرأة منعاً للفتنة والغواية).

أقول إن الهدف مختلف، ولكن الوسيلة واحدة، وهي النقاب، فهل يعيق النقاب عن عمل عملية جراحية دقيقة جداً، وبالأخص في جراحات المخ والعيون، بالإضافة إلى سائر العمليات الجراحية التي تتطلب الدقة والحذر المتناهي في تنفيذها؟

بالطبع لا، فكيف إذن تدعي المتبرجة أن النقاب يعيقها عن العمل الذي هو أدنى بكثير وبمراحل كبيرة من العمليات الجراحية؟!

وفي بعض البلاد التي تلتزم بستر المرأة، نجد أن بعض المشتغلات في حقل التدريس من معلمات وطالبات، يخرجن من بيوتهن بالحجاب الذي يسترهن، ثم يخلعنه في المدرسة، ويجلسن للتدريس، أو لتلقي العلم إما سافرات؛ أو متبرجات أمام المعلمين (في المدارس ذات الهيئة التدريسية المختلطة) حيث تُوهم الطالبات بأنه لا حرمة عليهن في الكشف على المعلمين الرجال لضرورة العلم، ولأن المعلم أخ كبير للطالبات.

فإلى هؤلاء أقول: إن الإسلام حرَّم تبرج المرأة، أو سفورها بوجهها أمام الرجال الأجانب، إلا لضرورة ملحّة: كالخطبة، أو الشهادة في المحكمة، أو التداوي، وفي هذه الحالات تكشف عن الجزء المطلوب فقط بدون تبرج، ولما كان النقاب لا يعوق المرأة عن تلقي العلم (وهو غطاء للوجه تبدو منه العينان فقط)؛ فإنه لا حاجة إلى أن تُسفر بوجهها ويمكنها أن تتابع دروسها أو تعمل (إذا اضطرتها الحاجة إلى العمل) بهذه الهيئة، ومثلها في هذه الحالة مثل الممرضة أو الطبيبة التي تعمل في مستشفى كما ذكرنا سابقاً.

أما أن المعلم أخٌ كبير لها، فنقول: إن جميع المؤمنين إخوة لبعضهم بعضاً كما ورد في الذكر الحكيم:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٠).

ومع ذلك أمر الله نساء المؤمنين بارتداء الجلباب، فلا ينبغي تبرير الكشف على المعلم، أو زملاء العمل بهذه الحجة الواهية، وإلا جاز الكشف على جميع الرجال الآخرين من المؤمنين، وهذا معلوم حرمته.

الحجة العاشرة:

من تدّعي أنها لا تطيق الحجاب بحجة الحرارة أو الصداع:

هناك من تحتج بأنه يصعب عليها تحمل الحجاب؛ لأنه ـ كما تزعم ـ يكتم على أنفاسها، فلا تطيقه بسبب الحرارة، ولهذه نقول:

ما دمتِ لا تطيقين الحجاب، فهل ستطيقين نار جهنم؟ يقول تعالى:

﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (سورة التوبة: ٨١).

وكذلك من تحتج بأنها تشعر بالصداع لو غطت وجهها ورأسها، أقول لها: لا داعي إذن لخروجك وتعرضك للرجال، أو اصبري على طاعة الله، ونفذي أوامره، وتذكري قوله تعالى:

﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ (مريم: ٦٥).

وقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ (سورة العصر).

وكيف لا تصبر هذه على الحجاب، وهو أمر بسيط بجانب ما كان يلقاه المسلمون الأوائل من ضر وأذى من المشركين؟ كيف بالله لو رأت هذه المتبرجة ما رأوه؟ إذن لكفرت بالله، وارتدت عن الدين ما دامت لا تصبر على تغطية جسدها حفظاً وإكراماً لها، أتعصي أمر ربها وأمر رسوله ﷺ؛ لأجل ثوب أُمرت بارتدائه؟!

كيف بالله ستتصرف هذه أمام باقي التكاليف الشرعية، أو لو عُذبت في سبيل دينها؟! عن أبي عبدالله خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل، فيُحفر له في الأرض، فيُجعل فيها، ثم يُؤتى بالمنشار، فيُوضع على رأسه، فيُجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» رواه البخاري. ليكن في ذلك عبرة لك يا من يُصدّع رأسك من الحجاب! ألا تصبرين، وقد صبر من قبلك على شق رؤوسهم لا تصديعها؟!

إن التي امتلأ قلبها بحب الله ورسوله، وأصرّت بصدق على اتباعهما تجد كل ما تلقى في سبيل الله هيناً، أفلا تكونين كذلك؟

الحجة الحادية عشرة:

من تظن أن التحجب يمثل الانتماء لطوائف أو أحزاب دينية:

تقابلت ذات مرة مع سيدة متقدمة في السن، ولكنها من سيدات المجتمع المخملي كما يقولون، فبادرتني بقولها: هل أنت من الشيعة؟ فقلت لها: لا، بل من أهل السنة. فقالت لي: لماذا إذن ارتديت هذا الحجاب الساتر لجميع الجسم الذي يشبه ما يرتديه نساء الشيعة في بعض البلاد؟ فتذكرت على الفور ما سألتني به إحداهن عمّا إذا كنت أنتمي لجماعة إسلامية معينة، لأن حجابي يشبه ما يرتديه النساء المنتميات لتلك الجماعة!

فكان ردي على القولين هو أنني لا أنتمي بحجابي إلا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن هذا الحجاب واجب على كل مسلمة، سواء كانت من أهل السنة أو من الشيعة، بل ويجب عليها بمجرد دخولها في الإسلام.

ثم قلت للسيدة المتقدمة في السن السابقة الذكر: إن الإعلام المنحرف شوّه صورة الحجاب الإسلامي الصحيح، ودمغ به طائفة معينة من الناس، وصوره بأنه تطرف وتزمت، حتى كرهه الناس، وارتابوا من لابسته، وانصرفوا عنه إلا من عصم الله وقليل ما هم. ثم قلت لها: كيف تعجبين لحجابي الذي يغطي وجهي وسائر بدني، وهو حجاب معروف لك منذ زمن بعيد؟ أنسيت ما كانت ترتديه جدتك وأمك، بل وربما أنت في مطلع حياتك، بل وسائر النساء في البلاد الإسلامية والعربية؟

أما كنتِ ترتدين مثل حجابي هذا قبل أن تقوم الحركة المسماة «حركة تحرير المرأة المسلمة» التي أفسدت المرأة، وزيّنت لها خلع حجابها شيئاً فشيئاً حتى أصبحت اليوم شبه عارية؟ فنظرت إليّ محدثتي بدهشة، وتعبيرات وجهها تدل على العودة للذكريات الحلوة الماضية، وقالت لي: نعم... نعم!... لقد تذكرت... آه يا ابنتي! ولّت تلك الأيام السعيدة... والزمن يتطور... ولن يعود إلى الوراء.

قلت لها: إن التطور يعني أن يتقدم الإنسان، وتزداد قدرته على كشف أسرار الكون، ويرتقي وينهض بنفسه وبمجتمعه من جميع النواحي، فهل تحقق كل ذلك بخروج المرأة كاسية عارية؟ فأجابتني: في الحقيقة لا، ولكن نساء اليوم لم يعدن يرضين بارتداء الحجاب. فقلت لها: إنني من نساء اليوم، ورغم ذلك فإنني ارتديته، وهناك الكثيرات غيري ممن لم تنطلِ عليهن الألاعيب الشيطانية الخبيثة لإفساد المرأة، وارتدينه كذلك ولله الحمد، ولكنني سأسألك سؤالاً بسيطاً: ما رأيك في رجال الزمن الذي ساد فيه ارتداء الحجاب، وكنت معاصرة لهم قبل التغرير بالمرأة لخلعه، هل كانوا كرجال اليوم؟ تنهدت بحسرة، وقالت بألم: كيف يا ابنتي! تقارنين بين هؤلاء الشباب المائعين الذين غلبت عليهم الرخاوة والطراوة، وفسدت أخلاقهم برجال الأمس الأقوياء الأشداء الأجلاّء المحترمين؟! لقد كان للرجل هيبته

وشخصيته، وكلمته المسموعة، أما شباب اليوم؛ فلا تكادين تفرقين فيما بينهم وبين النساء الناعمات المدللات!

قلت لها: إن ذلك كله نتيجة لخلع المرأة حجابها، ولقد فسد الرجال بفسادها، حتى ضاعت المقدسات، وانتهكت الحرمات، ورجالنا لا هَمَّ لهم إلا ملاحقة الحسناوات، ومشاهدة الأفلام، والمباريات، والانغماس في الشهوات، والمنكرات تحت ستار النهضة، والرقي، والتقدم الذي لا يكون في تصورهم إلا بالتعري، والتكشف، وقضاء الوطر، فأي فرق بين هؤلاء وبين الإنسان البدائي، إن لم يكن بينهم وبين البهائم التي لا تعقل؟!

بالله عليك هل وُجد مثل هذا الفجور الذي نشهده اليوم، والجرائم الأخلاقية التي نسمع عنها، والأزمات الاقتصادية التي نمر بها أيام كان الحجاب سائداً؟!

فقالت بصوت يقطر بالمرارة: لا... أبداً... أبداً... إن كل ذلك يا ابنتي! لم يظهر إلا في هذا الزمان الذي قلَّ فيه الحياء، وساد التبرج، وفسدت النساء، وتُرِكَ الحجاب. ثم لمعت عيناها بفرحٍ ظاهر، وهي تقول لي: وفقك الله يا ابنتي! وزادك هدى وتقى، وبارك فيك أنك لم تقلدي غيرك من نساء هذا الزمان في فجورهن، وأنك عدت إلى الأصالة والحياء بحجابك هذا، ولربما عاد الخير من جديد بانتشار الحجاب، ولا بارك الله فيمن أفسد النساء، وجعلهن كذلك فاسدات ماجنات مخرّبات مفسدات.

ثم أصبحت هذه العجوز المتبرجة صديقتي المحافظة!

الحجة الثانية عشرة:

من تتبرج لتغري الشباب بخطبتها، أي بهدف الزواج منها:

يحدث أن تتبرج الفتاة لكي توقع في شباكها خبيثاً من الخبثاء ممن يروق لهم الزواج بمتبرجة خبيثة، فتتزين كما يزين التاجر بضاعته، وتعرض

نفسها في أسواق الرجال؛ كي تجذب المشترين، وتبذل كل ما في وسعها وما لديها من كيد عظيم حتى تحصل على فريستها أو تعود بخُفَّيّ حنين، تجتر آلامها وخيبتها، وتندب حظها العاثر وبقاياها المهلهلة، ولهذه أقول: إنك أزريت بنفسك، ونالك الكثير من الإثم، بل ارتكبت أمراً من كبائر الذنوب وهو التبرج في سبيل هدف قد يتحقق وقد لا يتحقق، فإن تحقق، فاعلمي أن الرجل الذي اختارك زوجة له من أجل تبرجك، فإنه سرعان ما سيخونك، أو سيتركك إلى غيرك ليتزوج منها، أو على أقل تقدير لن تنالي السعادة المنشودة التي تطلبها كل فتاة بالزواج، وذلك عندما يجد أخريات أجمل منك؛ لأنه سيلهث وراءهن حيث أن هدفه طلب الجمال فحسب، بل إن الأمر سيتفاقم كلما كبرتِ في السن، وذوى جمالك شيئاً فشيئاً بسبب الحمل والولادة ومسؤوليتك البيتية، التي لا تعتبر أمراً هيناً على الإطلاق، وعندها سيُشعرك أنك لا تساوين شيئاً، وستذهب نفسك حسرات وأنت ترين زوجك يلاحق الأخريات؛ لأن من تزوج بمتبرجة لا يُؤمن جانبه، كما أنه من المعروف أن المرأة كلما تقدمت في السن زهد فيها الرجال شيئاً فشيئاً، ولكن الأمر بالعكس بالنسبة للرجل إذ أنه يجد في جميع مراحل عمره من ترضى بالزواج منه، ويكون في غالبية الأحوال قادراً على الإنجاب.

ومن العجيب أن هناك نسبة كبيرة من الأمهات ـ وبعضهن متدينات ملتزمات بما أمر الله به من أوامر شرعية ومنها ستر الجسم، يدفعن بناتهن للتبرج دفعاً، ويعملن على إبرازهن أمام الشباب بشتى الوسائل، وتترك الواحدة منهن ابنتها تمشي إلى جوارها في الشارع، مسترسلة الشعر، مرتدية لأحدث الأزياء التي تصبح فيها كاسية عارية، مصبوغة الوجه، متكلفة الهيئة، وكأنها عروس ستُزف إلى عروسها، فتبدو صورة الأم المحجبة وابنتها المتبرجة صورة نشاز تقزز النفس، وتثير السخرية والاستهزاء، وعذر الأم في ذلك أنها تخشى أن يحجب الحجاب عن ابنتها الخُطّاب. أجهلت هذه الأم

أن الزواج أمرٌ مقدر من الله وليس بالإغواء والإغرار؟!

ومن ناحية أخرى قد تكون الابنة تريد التحجب والالتزام بشرع الله، فتمنعها والدتها كما شكت لي الكثيرات، بل لقد وصل الأمر من بعض الأمهات إلى منع بناتهن من الصلاة؛ خشية أن تشتهر بأنها من ذوات الدين، فينفر عنها الشباب (كما تعتقد أمهاتهن الجاهلات)، ولقد تجاوز هؤلاء الأمهات الفاسقات الحدَّ عندما هددت بعضهن بناتهن المسكينات بالغضب عليهن، فتحتار تلك الفتاة وتنهشها الصراعات النفسية بين إرضاء ربها وأمها. ولهذه الأم أقول: أين حبك وحنانك لابنتك؟ هل حبك لها يكمن في أن تعرضيها للمهانة وغضب الله في الدنيا والآخرة؟ ألم تفكري بأنك تغرقين ابنتك في أوحال الخطايا بدفعك أو بتشجيعك لها على التبرج، وإن كانت ابنتك تريد التحجب وتمنعينها، أما استحيتِ من الله وأنت تصدين عن سبيله؟ عجباً لك وأنت تتركين ابنتك فريسة سائغة، تلتهمها عيون الرجال، وتشتهيها، ثم تعرضيها لغضب الله ونقمته!

إن من تحب ابنتها لا تقذف بها إلى نار جهنم، والله تعالى يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ (سورة التحريم: ٦).

وإن صلاح الأبناء يعود على الآباء حتى بعد موتهم. عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله؛ إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم.

فالأحرى بك أيتها الأم! أن تجعلي من ابنتك إنسانة صالحة، تقر عينك بصلاحها في الدنيا، وتكون مصدراً للحسنات لك بعد انقطاع عملك بانتهاء

أجلك، في وقت تكونين فيه في أمسِّ الحاجة إلى الحسنات، تدعو لك هذه الابنة الصالحة، فيُستجاب دعاؤها؛ لصلاحها، بعكس ما لو أفْسدْتِ ابنتك بدفعها للتبرج، فإنها وإن دعت لك لن يستجاب دعاؤها بمشيئة الله، فضلاً عن أنه يأتيك وزر دفعها إلى الضلال، ووزر الإخلال برعايتها، وتربيتها تربية صالحة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» رواه مسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته» متفق عليه.

أما أنتِ أيتها الابنة! التي تدفعك أمك إلى التبرج، فعليك أن تكلميها بالحسنى أولاً، وتُفهميها مدى الإثم الذي ستناله بفعلها ذلك، فإن أصرّت على موقفها؛ فلا تطيعيها؛ لأنه «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، وإن هددتك بأنها ستغضب عليك؛ فلا تهتمي لذلك؛ لأن غضبها لن يؤثر فيك أبداً، ولن يتسبب في إغضاب الله عليك، فالله يغضب لانتهاك حرماته، ولا يغضب لغضب الظالمين أو يستجيب دعاءهم، وأمك ظالمة لنفسها بدعوتك للمنكر، وظالمة لك بصدها إياك عن طاعة الله عز وجل.

وإن أبلغ دليل على ذلك، هو قصة إسلام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فقد كان من أبرِّ الناس بأمه، فلما علمت بإسلامه هددته بأنها لن

تأكل أو تشرب حتى تموت، ويعيّره الناس بأنه قاتل أمه، إن لم يرجع عن الإسلام فأبى أن يطيعها في معصية خالقه، وأعلمها بأنه لو كانت لها ألف نفس فخرجت نفساً نفساً فإنه لن يرجع عن دينه، فلما يئست من عودته إلى الكفر أكلت وشربت، ولم يؤثر عليه غضبها إذ أنه كان من العشرة المبشرين بالجنة. حقاً إن طاعة الوالدين واجبة، وحقهما عظيم، ولكن طاعة الله أوجب، وحقه أعظم، فلا يجوز للمرء أن يطيعهما إلا في معروف، كما أن دعاء الوالدين على ابنتهما التي تريد التحجب رغم أنفهما غير مستجاب؛ للدليل التالي: عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم» رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي هذا الحديث وعيدٌ للذي لا ينصح الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن الله سيرسل عليه عقاباً منه، كما أنه لن يستجب لدعائه، فما بالنا بالذي يصد عن المعروف، ويأمر بالمنكر؟! لا شك أن العقاب في هذه الحالة أشد، وعدم استجابة دعائه أولى، فلا تخشَ من تريد التحجب وتمنعها أمها أو أولياء أمرها من دعائهم عليها؛ فإنه غير مستجاب بإذن الله تعالى.

الحجة الثالثة عشرة:

من تحتج بأن زوجها يدفعها للتبرج أو تغيير خلق الله:

وهذه إما أن تكون متبرجة قبل الزواج وهداها الله؛ فأبى زوجها إلا أن تستمر على الصورة التي تزوجها عليها، أو أن تكون متدينة تزوجت بفاسق، فأراد أن نفسد عليها دينها، مع أنه كان من الأحرى بها أن لا تختار إلا رجلاً صالحاً، لا أن تتزوج كيفما اتفق، ثم تعاني بعد ذلك من فساد زوجها وانحلاله، وعلى جميع الوجوه نجد أن المرأة في هاتين الحالتين تخشى من عدم إرضاء زوجها، ومن إفساد حياتها العائلية، بالإصرار على الحجاب

الذي لا يرضاه الزوج، ولهذه نقول: إن عليها أن تكلم زوجها بالحسنى، وترشده إلى أنها تخشى عليه من عقاب الله إن هو أصرَّ على منعها من التحجب، وأبى عليها إلا أن تسير متبرجة؛ ليعرض لحمها على زملائه، ويريهم أنه إنسان عصري متحضر (لأن مثل هذا يعتقد أن التحضر والتقدم بالتبرج والتعري)، ويثبت لهم أنه إنسان اشتراكي، جعل زوجته ملكاً للجميع، بينما لو عقل هذا بعض الشيء، لوجد أن ما يفعله فوضى وهمجية وانحلال وتفسخ وبهيمية ورجعية وردة إلى عهود ما قبل التاريخ، إلى عصر الإنسان الحجري، الذي كانت تسير أنثاه كاسية عارية بجواره، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثة قد حرَّم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والديوث الذي يقر الخبث في أهله»[1].

فإن أبى ذلك، وأصرّ على موقفه، فلتعلم أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأن إرضاء الزوج لا يكون بارتكاب المعاصي، وإنما بالسمع والطاعة له فيما يأمر بما ليس فيه إثم، وبالقيام بواجباته، وإعطائه حقوقه كما بينها الله تعالى في القرآن والسنة، وإن التي تعتقد أنها بتبرجها أمام الرجال الأجانب إرضاءً لزوجها، أو تغير من خلقتها التي خلقها الله عليها بالتنمص، أو الوصل، وغيرهما؛ لكي يزداد إعجابه بها - تعتقد أنه لن يلحقها إثم، وأن مسؤوليتها وإثمها يقعان على الزوج - تعتبر جاهلة؛ لأن الحياة مليئة بتجارب من سبقنها، فلتنظر هل سعدت جميع المتبرجات والمغيرات خلق الله في حياتهن؟! إن السعادة لا تُكتسب بارتكاب الآثام، ولن يتحمل أحد مسؤولية أحد أبداً، وقد حذّرنا الله تعالى من أمثال هؤلاء الأزواج، فقال جلَّ شأنه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ

---

(١) رواه أحمد والبزار والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وهو من حديث عبدالله بن عمر (المنذري)، نقلته عن «كتاب الكبائر» لشمس الدين الذهبي (ص ١٣٧).

فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ (سورة التغابن : ١٤) . وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (سورة التوبة : ٢٤) .

ويوم القيامة لن ينصرها زوجها، الذي تعهد في الدنيا بتحمل إثمها لو أطاعته في المعاصي التي يريد منها ارتكابها، بل سَيَفِرُّ منها، وينشغل بنفسه عنها، يقول تعالى :

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ (سورة عبس : ٣٤ - ٣٧) .

ويقول تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ (سورة الانفطار : ١٧ - ١٩) .

وإنه على أسوأ الاحتمالات، عند وقوع خلافات بين الزوجين، واستحكام العداء، والخوف من الفرقة، وتعريض الحياة الزوجية للانهيار، إن أصرَّ كُلٌّ منهما على موقفه، فإن الحل لذلك نتبينه من قوله تعالى :

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾ (سورة النساء : ١٢٨) .

ويقول تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ

وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾

(سورة النساء : ٣٥) .

ملاحظة هامة :

هذه الملاحظة أسوقها لمن يسيئون فهم الكلام، ويخرجونه عن معناه، وهي أن ما ذكرته من إصرار الزوج على تبرج زوجته، لا يتعلق بتبرجها له، بل لغيره من الرجال الأجانب، وهذا الزوج ديوث فاسق، من الذين يَدَّعُونَ الحرية والتقدمية (البهيمية)، أو يريد التباهي بجمال زوجته، فيريد عرضها على زملائه ومعارفه، أو يكون من رجال الأعمال الذين ينتهزون الفرص بدعوة أكابر القوم إلى بيته، ويقيم لهم الولائم، ويحض زوجته على التبرج وملاطفة ضيوفه، ولو كانت تلك الملاطفة على حساب عفتها وفضيلتها! وذلك لكي تغري رؤساء زوجها في العمل بترقيته إن كان موظفاً، أو بعقد الصفقات معه، ولست بحاجة إلى أن أبين حرمة ذلك الفعل؛ لأنها معلومة لدى الجميع .

أما أن تتبرج المرأة لزوجها؛ فإن ذلك لا يسمى تبرجاً، بل تزيّناً، وإنه مما حضَّ الشرع عليه، وأمر به، ولكن بشرط عدم تغيير خلق الله بالتنمص والوصل وغيرهما من الأمور المنهي عنها شرعاً، وذلك كله لأن للمرأة حرمة، وليست ملكاً مشاعاً للناس، بل جعلها الله عز وجل ملكاً حلالاً لمن أخذها بأمانة الله، واستحلها بكلمة الله عز وجل، وهذا تكريم لها، فلها أن تتجمل لزوجها كما تشاء داخل بيتها، وإلا فما معنى أنها حد من حدود الله؟ أي تتصرف وفق أوامر الله عزَّ وجل، فهي هنا متزينة لأمرٍ حلال شرعه الله، وهناك محجبة لأمر حرام حرّمه الله .

الحجة الرابعة عشرة:

من تخجل من الحجاب وتخشى سخرية الناس منها لو أنها تحجبت:

عجباً لمن تخجل من الحجاب! أتخجل منه، ولا تخجل من نظرات الرجال إلى جسدها؟ ألا تخجل من عرض مفاتنها رخيصة أمام البَّر والفاجر؟ أتخجل من الفضيلة والشرف والحياء، ولا تخجل من الوقاحة والاستهتار ومعصية الله؟ ومن أي شيء تخجل؟ إن هذه الفتاة المخدوعة تردد أنها تخشى أن يسخر الناس منها، وأي أُناس هؤلاء الذين تحسب لهم حساباً، وتقيم لهم وزناً؟!! إن هؤلاء الذين يسخرون من المتدينين والمتدينات (ممن يبتغون طاعة الله ورسوله)، يعتبرون كفاراً مجرمين، وإن انتسبوا إلى الإسلام بالاسم، فتسموا بالمسلمين، فإن الإسلام منهم بريء، ولتسمعوا قول الله فيهم:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦) الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨) ﴾ (سورة التوبة: ٦٥ ـ ٦٨).

إن كل من استهزأ بحجاب المرأة المسلمة، أو لحية الرجل المسلم، أو غيرهما من الأمور التي أمر بها الله ورسوله، هو بمقام من استهزأ بالله

وآياته ورسوله؛ لأن السخرية والاستهزاء بالأوامر هي سخرية بالآمر، وإن أردتِ بيانَ ذلك للمستهزئين تجدينهم يقولون: «إننا كنا نمزح معكم»، فهل المزاح اعتذارٌ يبررون به فعلهم الدنيء هذا؟! إن الله لا يقبل عذرهم، بل وصفهم بأنهم مجرمون، وأنهم منافقون، ودمغهم بالكفر والردة عن الإيمان، ولعنهم، وجعل النار مأواهم، لهم فيها عذاب مقيم، لا يُرفع عنهم.

كما أن الله تعالى توعّدهم بقوله:

﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ (التوبة: ٨٢).

أي فليضحكوا قليلاً في الدنيا حتى انتهاء آجالهم، وهي فترة قصيرة بالمقارنة مع الآخرة، وليبكوا في الآخرة كثيراً؛ لأنها هي الحياة الخالدة الدائمة، وعذابها هو العذاب المقيم.

إن من يسخر منكِ يا أختاه! لا تأبهي له، ولا يثنيكِ عن عزمكِ على التحجب، إن هؤلاء أدنى من البهائم كما وصفهم الله تعالى في آيات كثيرة، فهل تخجلين من البهائم؟ صُمِّي أذنيك عن سماعهم، واستمعي لنداء الله؛ لأن فيه سعادتك، ونجاتك في الدنيا والآخرة، ردي على المستهزئين بما علمك الله أن يُقال، قولي لهم:

﴿... إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ (سورة هود: ٣٨، ٣٩).

لقد حدث أن رأتني بحجابي مجموعة من الفتيات، فتعالت ضحكاتهن؛ لأنهن لم يتعودن على رؤية الحجاب الشرعي الصحيح، فالتفتُّ إليهن قائلة ما علمني إياه الحق جلَّ شأنه:

﴿ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ .

فوالله لقد بُهِتْنَ جميعاً، وَوَجِمْنَ، ثم أقبلن نحوي بالاعتذارات المختلفة . . . وهكذا تكون عزة الإسلام، أعلميهن أنهن اللاتي في موضع السخرية والاستهزاء، وأنك لم تهتزي أو تتألمي لسخريتهن، فتعود سهامهن المسمومة إلى قلوبهن .

واصبري يا أختاه! على طاعة الله، وتذكري أن شروط الفلاح أربعة متلازمة بيّنها الله تعالى في سورة العصر بقوله تعالى :

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ
وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ .

إن الله تعالى بيّن أن الناس جميعاً في ضلال وخسران؛ إلا من تتحقق فيهم هذه الشروط الأربعة، وهي أن يكونوا آمنوا، ثم كمّلوا إيمانهم بالعمل الصالح، ثم كمّلوا غيرهم عن طريق التواصي بالحق، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم صبروا؛ لأن من آمن، وعمل صالحاً وأمر الناس بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، لا بد وأن يلقى من يحاول رده عن عزمه، أو يسخر منه ومن عمله الصالح، ويثبطه بمختلف الأقاويل، كأن يُقال عن الحجاب : تأخر ورجعية مثلاً، ولهذا كانت الخاتمة الطبيعية لشروط الفلاح التي لا بد أن تتحقق جميعها لا بعضها فيمن أراد أن يفوز ويفلح وينجو من عقاب الله؛ هي التوصية بالصبر، فكأنَّ الصبر ربع الدين!

وكيف لا تصبرين على سخرية الناس، وتزيينهم لك بترك الحجاب

وغيره من الأمور الشرعية؟ والله تعالى يبين لك أن غرضهم إفسادك وإمالتك إلى طريق الشهوات والمنكرات، يقول تعالى:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (سورة النساء: ٢٦، ٢٧).

وكيف لا تصبري؟ ولا تؤثر فيكِ سخرية هؤلاء المجرمين، والله تعالى يقول:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (سورة المطففين: ٢٩ - ٣٦).

الحجة الخامسة عشرة:

من تخشى على نفسها من الجنون لو التزمت بأوامر الله:

وهي حجة مضحكة مبكية، فقد روّج أعداء الدين منذ القدم فكرة أن التفقه في الدين يؤدي إلى الجنون، وألفوا بعض الكتب المليئة بالخرافات، وبعضها عن كيفية التعامل مع الجن وتسخيرهم للإنسان القائم بذلك، وعن الطلاسم التي ما أنزل الله بها من سلطان، وكيفية استخدامها، وطرق قراءة الكف، ومعرفة أسرار النجوم، ولقد وضعوا في تلك الكتب بعض الآيات القرآنية تمويهاً للقراء؛ ليعتقدوا أن كل ذلك أتى به الإسلام، ومن هذه

الكتب على سبيل المثال (شمس المعارف الكبرى) للبوني، فإذا أدت هذه الكتب إلى إصابة المتعمقين فيها والعاكفين عليها بالجنون؛ فإن ذلك شيء طبيعي، ألم يقل الله تعالى:

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ ﴾ (سورة الجن: ٦).

وهناك بعض الكتب التي ألفها المارقون من الدين، ونسبوها زوراً إلى كبار علماء الإسلام؛ ليغروا الناس بالاطلاع عليها، ويشغلوهم بها عن القرآن والسنة، مثل: كتاب «الرحمة في الطب والحكمة» المنسوب زوراً إلى العالم الجليل مفسّر القرآن «السيوطي».

ولكن عامة الناس لم يدركوا حقيقة الأمر، واعتبروا أن كل هذه الكتب من صميم الدين، وأن الأضرار الناشئة عنها هي بسبب التفقه في الدين، ولقد سادت هذه الفكرة المسمومة بين مختلف الأوساط من جهلاء ومثقفين، لدرجة أن ابنة عالم كبير في بلدتنا، وهي فتاة جامعية، سألتني عن مسألة بسيطة جداً تتعلق بالطهارة، قالت: إنها تخجل من أن تسأل فيها والدها، فقلت لها: إن هذه المسألة موجودة في الكتب الفقهية التي تزدحم بها مكتبة والدك، فلو فتشت قليلاً لوجدتيها، فقالت لي: أخشى من التعمق في هذه الكتب؛ لأنني بنت، وأخاف على عقلي من الضياع!!!

وقد حدث أن زارتنا سيدة متقدمة في السن، فرأتني أحمل كتاباً ضخماً من كتب الفقه، وأفتش فيه عن مسألة من المسائل الفقهية، فقالت لي مشفقة محذرة بعد أن أخذت تحدق فيّ لفترة طويلة: كفاك يا ابنتي! تقليباً في هذا الكتاب، ومن التعمق في الدين، وإلا خشينا على عقلك من الضياع!!

فعجبت جداً! وحاولت إفهامها أن التعمق في الدين، وفهمه، والعمل

به يصلح العقول ولا يُذهبها، ولكن دون جدوى، فقد أصرّت على مفهومها الغريب، فلمّا لم تقتنع قلت لها: اضربي لي مثالاً على إنسان جُنَّ من الدين، فذكرت لي رجلاً طاعناً في السن مخرفاً غزير اللحية، يسير في الشوارع والأسواق، متمتماً، ومهمهماً، ومهرولاً، ولا ينظر إلى أحد.

وكان ما أعرفه عن هذا الرجل؛ أنه كان يدرس الفلسفة في شبابه، وتعمّق فيها، حتى فقد عقله، فقلت لها: إنه فيلسوف، والفلسفة ليست من الدين، بل إنها تشكك الناس فيه أحياناً، فلا تنظري إلى لحية الرجل الغزيرة، وتظني أنه شيخٌ (أي من علماء الدين)؛ لأن اللحية لا تمثل المسلمين فقط، صحيح أن الإسلام أمر بإعفائها، ونهى عن حلقها، ولكن ذلك لا يمنع أن نجد رجالاً غير مسلمين يعفون لحاهم.

فلم تفهم المرأة، ولن تفهم؛ لأن أعداء الدين رَوَّجُوا هذه الفكرة، ففعلوا بها ما يشبه غسيل المخ لدى الكثيرين، ولم تضرب لي المرأة مثالاً آخر؛ لأن ما من أحد جُنَّ من الدين.

إن الجنون آفة تطرأ على العقل، فتغير السلوك والتصرفات، وهذه الآفة معرض للإصابة بها أي إنسان، ولا دخل لها بدينه أو معتقداته، أفلا تجدون في الأوروبيين وغيرهم من يفقد عقله؟ لقد استشرى بينهم الجنون وسائر الأمراض النفسية؛ بسبب ولوغهم في حمأة المعاصي والفسق والفجور، إن الجنون يأتي بسبب الابتعاد عن منهج الله، فيصيب ذلك الجاحد التافه الغارق في ملذاته، والذي قضى على عقله بالخمر والنساء وغيرهما من المغريات المادية الشهوانية، وقد يأتي الجنون بسبب مشكلات عائلية مستعصية على الحل؛ لكثرة التفكير فيها والعجز عن حلها، وقد يأتي بالسحر وبطرق أخرى لا علم لي بها، المهم أنه قد يصاب المسلمون بالجنون كغيرهم؛ لأنه آفة، ومرض يصيب العقل، كما تصيب سائر الأمراض

جميع الناس دون تفرقة بين مسلم وكافر، فلا دخل للدين في هذا الأمر، وإنه لمن الخطأ أن ننسب إلى المتدينين وحدهم ذلك المرض؛ لأن في نشر هذه الفكرة المسمومة صَدّاً عن سبيل الله، وذلك حرام شرعاً.

أما من يُعرفون بـ «الدراويش» والذين تجدونهم يملأون أضرحة الأولياء والصالحين، ويتصرفون كالمجانين، حتى أن البعض يسميهم: «مجاذيب»، فإن أفعالهم ودروشتهم ليست من الدين أصلاً، بل هي أفعال بلهاء ناقصين، ابحثوا في تاريخ الإسلام؛ لتعرفوا حقيقتهم، هل سمعتم أن أحداً من الصحابة فعل أفعالهم؟ هل قرأتم حديثاً نبوياً أو آية قرآنية تأمر بذلك؟ إن هؤلاء محسوبون على الإسلام، بينما هم مخرفون مبتعدون عن نهج الله، يتمسح بهم، ناقصو العقل والدين، ويعتقدون فيهم الصلاح والتقوى، بينما تجد أحدهم لا يصلي ولا يصوم، ويقيمون موالد للأولياء، تختلط فيها النساء بالرجال، ويتزاحمون بالمناكب، وغير ذلك من الأمور المنكرة، فضلاً عن اعتبارها أعياداً للفسق والفجور، ولا تمت إلى الدين بصلة، حتى أن أحد الأجانب ممن اعتنقوا الإسلام؛ قدم في زيارة لإحدى الدول العربية، ودخل أحد المساجد فيها، فكان المسجد بداخله ضريح، فرأى ذلك الزائر من أفعال الدراويش ما جعله يقول: «الحمد لله أنني اعتنقت الإسلام قبل رؤيتي لهؤلاء وإلا لما كنت اعتنقته أبداً».

وذلك ليس موضوع بحثنا الآن، وإنما أحببت أن أذكر شيئاً منه حتى أبيّن أن تلك الأفعال ليست من الدين، فلا يعتقد البعض أن هؤلاء تعمقوا في الدين فَجُنُّوا، وإنما جُنُّوا من جهلهم بما أنزل الله وبما شرع رسوله ﷺ، وإن هؤلاء أخطر على الدين من اليهود والنصارى، فكيف بالله ندمغ من تريد التفقه في أمور دينها بهذه التهمة الباطلة؟ فكلما طبّقت شيئاً من أوامر الدين، وتقدمت في الطاعات قيل لها: توقفي وإلا جُنِنْتِ!

إن هذه التهمة الباطلة ألصقها الكفار من قبل برسول الله ﷺ؛ لِيُنَفِّروا

الناس من اتباع هديه، فهل كان رسول الله ﷺ الذي هدى الله على يديه الأمة، وكان أعلم الناس بالله، وأخشاهم له، وقاد أمةً بدأت حياتها بالفقر، ورعي الغنم، فرفعها الله بالإسلام، حتى فُتحت لها مشارق الأرض ومغاربها، وسطعت لها شمس حضارة لم تغرب إلا عندما ابتعد المسلمون عن دينهم، فهل مَنْ فعل ذلك كله يُعتبر مجنوناً؟ حاشَ لله!! لقد صور الله تعالى قولهم هذا في سورة القلم بقوله:

﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (سورة القلم: ٥١، ٥٢).

وهناك آيات أخرى تذكر تلك التهمة الباطلة النابعة عن حقدهم ومكرهم، ولكن الله تعالى يوجه رسوله إلى عدم الالتفات إلى أقوالهم المغرضة، ويصف جلَّ شأنه ما وهبه لرسوله ﷺ من علم بأنه نعمة من الله، يقول تعالى:

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (سورة الطور: ٢٩).

فلتعتبري يا من أردتِ التحجب وتوقفت! فلا تدعي أقوال من تشبهوا بكفّار الجاهلية الأولى، تؤثر فيك، وتثبط عزمك، وليكن لك في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد أوذي بهذه التهمة وغيرها، فصبر حتى نصره الله، وأعزه، وأذل الكافرين.

الحجة السادسة عشرة:

من تحتج بأنها ستتحجب عندما تكبر:

وهناك صنف آخر من النساء إذا ما نهيتهن عن التبرج، وأمرتهن بما أمر به الله ورسوله من الحجاب وسائر أمور الدين بادرن بالقول:

«سنتحجب أو سنصلي أو. . . أو. . . ولكن عندما نكبر! . . . نريد أن نتمتع بشبابنا وبالدنيا، والأيام آتية للصلاة والحجاب وغيره»!!

فأقول: هل علمت تلك المتبرجة أن الأجل سيمهلها إلى أن تكبر؟ وهل فترة الشباب رخصة للمعاصي والسفور والمتعة الحرام؟

هل ضمنت هذه العيش إلى أجل حددته هي، فأجّلت له الطاعات، وبادرت اليوم بارتكاب الفواحش والمنكرات؟ ألم ترَ أن الموت لا يفرق بين صغير أو كبير، بل أن هناك من يُولد ميتاً قبل أن يرى نور الحياة، فإنما هي آجالنا حُسبت، وحُددت لنا من قِبَل الله سبحانه وتعالى القائل جلَّ شأنه:

﴿ . . . فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (سورة النحل: ٦١).

وحتى لو مدَّ الله في أجلها فمتى ستتوب؟ إن من شروط التوبة العمل الصالح الذي يناقض العمل القبيح الذي كانت عليه، وإن عملها القبيح ـ وهو التبرج، وترك الحجاب ـ إنما يعطي تأثيره الضار على المجتمع، من إثارة للفتن والغرائز في فترة محددة من العمر، هي بصفة عامة فترة الشباب، أما في فترة الشيخوخة عندما يذبل جمالها، وتذوي نضارتها، وتصبح من القواعد من النساء (لو مدَّ الله في عمرها)؛ فإنه لن يُجدي تحجبها فتيلاً؛ لأنها لن تغري الناظرين إليها، بل إن الله تعالى رخّص لها في هذه السن خلع الجلباب، فكيف بالله ستكتمل توبتها، أو حتى يقبلها الله تعالى في زمن لا يؤهلها لذلك، فالشباب وَلَّى وذوى؟ . . . وهيهات أن يعود مهما تحايلت لاستبقائه بالمساحيق وأدوات الزينة.

بل كيف ستكفِّر عن الأيام السالفة من عمرها، وهي بدون الحجاب، وقد بدأ الله يحاسبها منذ البلوغ، خاصة وهي تعلم حرمة ذلك الفعل، ولكنها تصر عليه؟!

الحجة السابعة عشرة:

من تخشى على نفسها من السجون إن تحجبت:

وهي حجة لها أسبابها التي تشكل الهزيمة الكبرى والتخاذل أمام أعداء الله، إنها هزيمة رأس الأمة وجسدها أمام قوى الشر والعدوان، المتمثلة في موالاة الكفار وتنفيذ أوامرهم، حرصاً من أصحاب السلطان على سلطانهم، وتكالباً على الدنيا، وحتى ولو كان في هذه الأوامر ما يضر بالمصالح العليا للأمة الإسلامية!

وإنَّ حجاب المرأة المسلمة الذي حِيكَتْ من أجل إزالته الدسائس والمؤامرات، ورُسِمَتْ لإبادته أعتى المخططات، هو من أشد الأمور إيذاءً لأعداء الله في الشرق والغرب؛ لأن في إظهاره وانتشاره إظهاراً لاسم الإسلام، وإعلاءً لكلمة الله التي تُعْلِمُ القوى الشيطانية الآدمية أنه لا قاهر لها أبداً، ولمّا بُذِلَتِ المساعي، واستُنزفت الجهود الجبارة؛ لإفساد المرأة المسلمة، وتعريتها من حجابها؛ لإمالة الأمة، وإضاعتها حتى لا تقوم لها قائمة، ولا يصبح للإسلام قوته وسلطانه فإن أعداء الله فوجئوا مفاجأة كادت تذهب بعقولهم، وتزلزل نفوسهم، وهم يرون عودة ظهور الحجاب في المجتمع الإسلامي بعد غياب قصير، فقد غاب الحجاب، ثم ظهر في نفس القرن من الزمان، وظهر من جديد ليؤكد أن المرأة المسلمة التي خلعت حجابها لم تستطع بفطرتها السليمة الاستمرار في تلك المهزلة، التي جعلت منها ألعوبة بأيدي الفاسقين، ورصاصة يطلقها المغرضون في كبد أمتها، ودينها، وشرفها، وعفتها، وإبائها.

وما إن عادت المرأة إلى حجابها حتى تحركت الوفود، واهتزت العروش، وصدرت الأوامر من أعداء الله في الشرق والغرب؛ إلى عملائهم ممن يتسلمون زمام الأمور في بعض البلاد الإسلامية والعربية بخنق

الحجاب، وخنق الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وتمزيق الداعين لذلك شر ممزق، فقالت السلطات الآثمة العميلة: «سمعنا وأطعنا».
فأطلقت الإعلام الشرس؛ ليُشَوِّهَ صورة المتمسكين بشريعة الله تعالى، ويرميهم بالتعصب الذميم، ويلصق بالجماعات الإسلامية شتى التهم والأكاذيب، لتنفير الشعب المسلم منهم؛ كي يساهم في إبادتهم، ولا يثور لما سيحدث لهم على أيدي الزبانية، حتى أن رئيسة تحرير إحدى المجلات النسائية العربية، كتبت بنفسها عدة مقالات، تصور فيها الحجاب الإسلامي بأنه يشبه الكفن، وأن عودة الحجاب انتكاسة إلى الوراء، وأن المرأة تريد العودة إلى العبودية، وتقارن تلك الجاهلة بين المتحجبات وبين تحرير العبيد في أمريكا العنصرية، فتشبه المحجبات بالعبيد الذين حررهم إبراهام لنكولن، ولكنهم رفضوا الحرية، وعادوا إلى أسيادهم، ولست أدري ما وجه تلك المقارنات التي عقدتها هذه الشيطانة الإنسية، بين تحرير العبيد وبين رفض المرأة أن تكون متاعاً فاجراً يلهو به الرجال، ويُترك كالقمامة على قارعة الطريق؟!!

وعندما وجدت تلك الفاسقة المستهزئة بآيات الله وأوامره وأوامر رسوله ﷺ أن كلامها ذهب أدراج الرياح، عادت لتصور المتحجبات بأنهن «فاسدات الأخلاق، يتسترن بهذا اللباس، حتى يختفين عن أعين الوشاة»، مع أن الفساد في تلك البلاد لا يحتاج إلى تستر؛ لأنه ظاهر، ومعلن به في كل مكان دون نكير، والأدهى من ذلك؛ أن الحجاب هو الشيء الغريب عن ذلك المجتمع المذكور، فتلاحق العيون صاحبته أينما قادتها قدماها، فكيف بالله ستتستر بالحجاب على معاص مزعومة في مجتمع يراقبها مراقبة الضد للضد؟

ولكن الأمر مكشوف؛ لأن هذه المرأة المأجورة من أذناب أعداء الأمة والإسلام، قد ساءها انتشار الحجاب، بينما كانت تعمل جاهدة لإفساد

المرأة المسلمة طوال تسلمها لرئاسة تحرير مجلتها النسائية، عبر المواضيع والمقالات التي تضمها تلك المجلة.

وإنه لّما لم تهتم المؤمنات بهذه الأقاويل المغرضة الملفقة، ألصقت سلطات البلاد بهن تهماً باطلة، وصورتهن هن والشباب الملتزم بالإسلام بصورة أحزاب وجماعات متطرفة، وتمادوا في ذلك تمادياً عظيماً، حتى أنهم أطلقوا المخابرات والجواسيس خلف كل داعية مخلص لله، وجعلوا المساجد تحت الرقابة العسكرية، ولا نسمع منهم تبريراً لأفعالهم إلا محاربة التطرف، والتطرف عندهم يعني: التمسك بالإسلام بصورة صحيحة، وليس إسلام الأسماء والشعارات النظرية، وأودعوا الشبان والشابات المتمسكين بشرع الله غياهب السجون، ونكلوا بهم أشد التنكيل، مما لم يفعله كفار الجاهلية الأولى بالمسلمين الأوائل!!

ولقد تشرد من المتمسكين بشرع الله من تشرد ولجأوا إلى دولٍ أخرى، فأصبحوا غرباء عن ديارهم بسبب طغمة فاسدة عميلة، ولقد تركت تلك السلطات الآثمة الفاسدة المجرمين يعيثون في الأرض فساداً، وينهبون، ويخربون، وتركت الجماعات اللادينية والأحزاب الإلحادية، وأصحاب المذاهب الهدامة يروجون لباطلهم، ومنحتهم حرية إصدار الصحف والمجلات، بينما منعت المسلمين من ذلك، وجعلت تتعقب هؤلاء الأبرار الأطهار الذين يُشَرِّفُونَ المجتمع ويُعْلُون هامة الأمة.

لقد قامت تلك الحكومات بما كلفهم به أسيادهم في الشرق والغرب؛ لصدهم عن دينهم، لأنهم جميعاً (أي أعداء الإسلام الذين في الخارج وعملاءهم في الداخل) يعلمون أن الدين سيحرر الأمة من الظلم والفساد والعبودية لغير الله، وسيقضي على رؤوس الكفر والنفاق، وسَيَئِدُ الانحراف أينما وجد، وسيكتسح مشارق الأرض ومغاربها؛ لنشر النور والحق

والعدل، ويمحو الظلمات والفجور والطغيان، . . . إنهم يحاربون الدين، ويتعقبون الدين في صورة هؤلاء المتدينين العزل من أي سلاح إلا سلاح الفضيلة والتقوى ومراقبة الله عز وجل، إنهم يحاربون الدين بعد أن ظنوا أن شعوبهم قد غُسِلَتْ أمخاخُها بما يدسونه لها؛ من ملهيات ومُصرفات عن شرع الله؛ عن طريق ما أسموه بالفن، وكرة القدم، وغير ذلك من وسائل لا يماري في أضرارها الواقعة على الأمة إلا جاهل:

ولما لم يفلح الإعلام المشوه في إفساد أصحاب الفطر السليمة، ولمّا لم تعد تجدي السجون في كفِّ المؤمنات والمؤمنين الصادقين عن دينهم، لم تجد السلطات بُدّاً من إيقاف رجال الشرطة على أبواب المدارس والجامعات لمنع المحجبات الساترات لجميع أبدانهن بما في ذلك وجوههن، والشبان الملتحين من دخولها، وحُرم الكثيرون من التعليم ودخول الامتحانات لهذا السبب، ومن أفلت من أيدي الشرطة لم يفلت من أيدي عمداء بعض الجامعات! كعميد كلية الطب بإحدى الجامعات العربية، الذي شدَّ عن طالبة مسلمة حجابها، وكشف عورتها أمام الجميع!

وفي بلاد عربية أخرى صدرت الأوامر لقوات الانتشار السريع؛ بتعقب كل متحجبة تسير في الشوارع لشد حجابها عنها؛ بل واغتصابها إن أمكن ذلك!

وفي البلد الإسلامي العريق الذي شهد نهاية الخلافة الإسلامية منذ وقت قريب، منعت دكتورة تعمل في الجامعة من العمل؛ لأنها غطت شعرها، واحتشمت في ملبسها! هل هذه السلطات مسلمة؟ . . . وهل تعمل لصالح الأمة؟ . . . لا والله . . .

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٤٤).

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (سورة المائدة: ٤٥).

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (سورة المائدة: ٤٧).

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (سورة المائدة: ٥٠).

فإلى تلك التي تخشى على نفسها من السجون إن تحجبت أقول:

اصبري وصابري ورابطي، وسينصرك الله ولو بعد حين، وإياك والانصراف عن الحجاب، ولو قُطِّعتِ إرباً إرباً، لأن في تمسكك به قياماً لهذا الدين، وبعثاً به حياً من جديد، بعد أن ظنَّ أعداء الله أنهم أطفؤوا نوره إلى الأبد، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وأكتفي بهذا القدر من الحجج، مما اشتهر على ألسنة المتبرجات، فيما يتعلق بارتداء الحجاب الساتر لجميع البدن بدون استثناء، وهناك الكثير من الحجج الأخرى الواهية التافهة، ومن العبث أن نرد عليها.

تعقيب

١ - «من المؤسف جداً أن نرى المرأة المحجبة الصالحة تسير في الشوارع بصحبة المتبرجة أو السافرة، تصحبها في ذهابها وإيابها، وتحبها، وتصادقها، ناسيةً أو متناسية أن (الرضا بالمعصية معصية)، فعلى المؤمنة العاقلة أن تعلم أن صحبة أهل الفسق تجرُّ إلى الفسق، وصحبة أهل الأهواء تسوق إلى اتباع الأهواء، وصحبة أهل الزيغ والإلحاد توقع في هوة الكفر والإلحاد، ولهذا جاء في الحديث الشريف: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

النبي ﷺ قال: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدَكُم من يخالل» رواه أبو داود والترمذي.

وعن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة» متفق عليه. يحذيك: يعطيك.

ويقول الشاعر:

إذا كنت في قومٍ فَصَاحِبْ خيارَهُم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

ويقول آخر:

واحذر مصاحبة العَصيّ فإنه ... يُعدي كما يُعدي السليمَ الأجربُ

فاحذري أيتها المؤمنة المطيعة! من صحبة تلك الخارجة عن طاعة الله، حيث أن مشاهدة ومخالطة أهل الفسق تهون أمر المعصية على القلب، فتجعلها عادية يتقبلها القلب دون نفور منها، وقد ينصرف المطيع عن طاعة الله من جرّاء ذلك»[1].

٢ - إن تبرج المرأة أمام الرجال الأجانب الذين يأتون للزيارة في منزلها؛ يسري عليه من الإثم المذكور في حديث «الكاسيات العاريات» ما يسري على المتبرجات خارج المنزل؛ لأن العبرة بحصول العمل المحرّم نفسه وليس بمكان حدوثه، وهناك الكثيرات من النساء اللاتي يتوهمن أنه يجوز لهن إبداء زينتهن في الأفراح، أو أمام الرجال من نفس العائلة، أو العشيرة، أو القبيلة، أو أقارب زوجها: كأخيه، وعمه، وخاله، وابن عمه،

(١) «الفتن» لأحمد عز الدين البيانوني (ص ٢٣٣ - ص ٢٣٥) باختصار.

وابن خاله . . . إلخ ، وبالمثل أقاربها : كأبناء عمومتها ، وأبناء أخوالها ، وأبناء خالاتها . . . إلخ ، وكل هؤلاء وإن كانوا أقرباء أو من نفس العائلة أو العشيرة أو القبيلة ؛ فإنه يحرم على المرأة إبداء زينتها لهم ، أو مصافحتهم ، ويعتبرون أجانب عنها شرعاً ، سواء رأوها في الشارع أم في المنزل ، أما الذين يجوز للمرأة إبداء الزينة عليهم فقد بينهم الله تعالى في سورة النور وسنذكرهم بمشيئة الله في الفصل القادم ، كذلك لا يجوز للمرأة إبداء زينتها في الأفراح المختلطة رجالاً ونساءً ، ولو حتى كان العريس وحده ؛ إلا إذا كان محرماً لها ، كما يحرم على الرجل الجلوس وسط النساء ، ومشاهدة زينتهن ، كما يحدث في بعض الأفراح العربية ، وعليه أن يجلس مع الرجال في مكان آخر بعيداً عن النساء ؛ لأن ليلة الزفاف ليست رخصة للمعاصي ، وتحليل ما حرّم الله ، وإنما يجوز للمرأة التزين في الأفراح ، وإبداء زينتها للنساء فقط ، أو الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء .

٣ ـ هناك صنف من النساء والرجال لا يحلّون حلالاً ولا يحرّمون حرَاماً ، وينكرون البعث والحساب ، ويزعمون أنما هي حياتهم الدنيا وحسب ، فينكرون القيم والمبادىء الدينية ، بل ويصدون عن سبيل الله يبغونها عوجاً ، وإن هذا الصنف لا يجدي معه كتابي هذا ، وما عليهم سوى الانتظار زمناً يسيراً ، حتى يوضعوا في أول منازل الآخرة ، وهو القبر ، حيث سيرون ما لم يروه قط ، ويلاقون ما وعدهم ربهم حقاً . يقول تعالى :

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ (سورة الأعراف : ١٧٩) .

شروط حجاب المؤمنات

لماذا فرض الله الحجاب؟

فرض الله تعالى الحجاب على المرأة المسلمة تكريماً لها، وحفاظاً على مكانتها السامية من أن تُمسّ بسوء من الفساق وأشباه الرجال، وإن التي تعتقد أن الله تعالى يضيّق عليها بفريضة الحجاب هي امرأة لم تتشبع روحها بالإيمان، ولم يتشرّب قلبها حقيقة الإسلام، وإلا لفهمت أن حريتها تكمن في تحرير جسدها من عيون الفاسقين، ومن تحرير نفسها من العبودية للشهوات وتقليد الفاجرات!

إن المرأة الحرة الحصينة هي التي تدرك أن خالقها لا يأمر إلا بما يصلحها ويصلح غيرها، ولنتأمل هذه الأبيات للشاعر الذي صوّر المرأة بلا حجاب كأنها مدينة بلا أسوار، فقال بعد مخاطبته للمرأة، وذمّه لتبرجها:

«إن المدينة يا ابنتي تبقى محصنة أمينة
ما دامت الأسوار تمنعها بأعمدةٍ متينة
فإذا هوت جدرانها نفذ العدو إلى المدينة»![1]

---

(١) الأبيات للشاعر «عبد الرحمن جحاف» في قصيدة (امرأة بلا حجاب... مدينة بلا أسوار) وقد نشرتها له مجلة «الإرشاد» في العدد الثامن والتاسع ـ السنة السادسة ـ شعبان ورمضان ١٤٠٤ هـ ـ ص ٧٦ من المجلة.

ويقول فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي:

«على الفتاة التي تزعم أن الدين يحجر عليها في لباسها، وفي زينتها، وفي حياتها، أن تعلم جيداً أنه كيف أراد الدين أن يؤمن شيخوختها في الهرم، وعند سن اليأس؟ إذ أن أول صدمة تقع في كيان المرأة عند سن اليأس عندما تنقطع عنها الدورة الشهرية، وفي هذه الأوقات الحرجة، لما تذوي نضارة المرأة، ويخبو جمالها، نراها محتاجة إلى عطف زوجها وحنانه وبرّه، وهي ضعيفة مسكينة كثيرة التفكير في المصير المؤلم من ناحية أخرى؛ لأنها لم تعد تُشبع غرائز الزوج، فعلى الفتاة أن تعلم أن الإسلام إنما أراد أن يؤمن هذه الشيخوخة الذابلة المنهكة، وأن يدفع إليها البشر والتفاؤل والأمان.

فعلى هذه الفتاة أن تعلم أنها لن تظل جميلة طول عمرها، ولا فاتنة ساحرة مدى حياتها، فإذا ما ذبلت تلك الزهرة بتقدم العمر، وانمحت نضارتها، واعتُصرت محاسنها، ولم تعد تصلح لإثارة غرائز الزوج، وهي ليست في مستوى الإهاجة، ونزل إلى الشارع فرأى فتاة في خير عمرها، وفي كامل زينتها ورونقها، جرت شهوته إلى غمار المقارنة بين ما ينظر في الشارع وما يراه في البيت، وبين هذا وذلك تتكالب عليه الهموم والحسرات، ولا نعتقد أن هذه المقارنة ستسر أي امرأة، فنظرة الرجل في الشارع إلى حسنٍ ظاهر سافر مبتذل تبدد رصيد الحب بينه وبين زوجته، ولو لم يرَ في الشارع لما التهبت مشاعره، ولا تنبَّهت غرائزه، من هنا تنحل الأسرة الزوجية، وتتفكك المودة العائلية.

فاعلمي أيتها الفتاة! أن الذي منعك منع من أجلك، والذي منع ليحافظ عليك، وبمقدار ما أغوت المرأة رجالاً بمقدار ما زهد فيها رجال، وبمقدار ما رغب فيها أناس بمقدار ما رغب عنها أكثر منهم، وبمقدار ما استمالت من

نفوس فإن الله يذل آخرتها في الدنيا، بأن ينصرف الكل عنها انصرافاً مزرياً محتقراً، والذي كان يتمنى أن يحظى بنظرة واحدة لو رآها لبصق عليها»[1].

ولقد صدق الشيخ الشعراوي في نظرته هذه للتبرج؛ لأن النساء عندما يتحجبن جميعاً فإنه لن يُغري الأزواج بغير نسائهم؛ لأنهم لن يروا مفاتن غيرهن، مما يكفل السعادة الزوجية المنشودة للجميع. كما أن اختلاط الرجال بالنساء أثناء الزيارات البيتية وغير ذلك، يدفع الرجل في سره إلى أن يقارن بين زوجته وغيرها في الحسن، وطريقة الحديث، والحركات، والتصرفات، ولما كانت النساء في مثل هذه المجالس يبدين أفضل ما لديهن من طرق، ويتصنعن الرقة المتناهية واللطف؛ فإن فتنة الأزواج بهن تشتد حتى ولو لم يُظهروا لزوجاتهم ذلك، فيكون المصاب بالاختلاط أعظم ضرراً، وأبعد أثراً، وأطول تأثيراً من مجرد النظر في الشارع، ولهذا وجب على النساء الاحتجاب عند الخروج، وعدم الاختلاط أثناء الزيارات والرحلات، وغير ذلك، بل يكون للنساء مجالسهن وللرجال مجالسهم، وهذا من صالح الطرفين.

ويقول الشيخ محمد الحامد:

«إن تبرج المرأة، وتزينها، وتعطرها، وسيرها في الأسواق تزاحم الرجال، وتستهوي عيونهم، وتفتن قلوبهم، فهو دليل على ضعف الوازع الديني في نفسها أو انعدامه، وإمارة على نوم الشرف أو موته، إن المتبرجة المتبهرجة إن سَلِمت في نفسها، فإن الناس لا يسلمون منها، فكم فيهم من أعزب لا يجد نكاحاً، ومن شاب محترق بشهوته، ولا حلال لديه يسكن إليه، ومن لص فاتن يسرق العرض، وقد أتقن أساليب هذه السرقة وبرع فيها؟ إن الأزياء الحديثة بما فيها من فتنة تغري المتزوج المحصن بالنظر، وهو أول

---

(١) «الفتاوى» للشيخ الشعراوي - (الجزء الثاني - ص ٤٥).

الزلق إلى الرذيلة، والباب إلى الفاحشة، هذه أخطار خروج المرأة من بيتها بلا ضرورة شرعية، ومثل الخروج صعودها على الأسطح المرتفعة المطلة على الجيران، وظهورها في شرفات المنازل المطلة على الشوارع، وكذا دخولها على الجيران بلا إذن إلا لضرورة»[1].

ويقول سيد قطب رحمه الله:

«إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تُهاج فيه الشهوات في كل لحظة ولا تُستثار، فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي إلى سُعار شهواني لا ينطفىء ولا يرتوي، والنظرة الخائنة والحركة المثيرة والزينة المتبرجة والجسم العاري، كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون... إلى أن يقول:

إن الميل الفطري بين **الرجل** والمرأة ميل عميق، وإثارته في كل حين تزيد من عرامته، **فالنظرة تثير، والضحكة** تثير، والدعابة تثير، والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات، **وذلك هو المنهج** الذي يختاره الإسلام، مع تهذيب الطبع، وتشغيل الطاقة البشرية بهموم أخرى في الحياة غير تلبية دافع اللحم والدم»[2].

ويقول فضيلة الشيخ مناع خليل قطان:

«الإسلام - وهو الدين الوسط للأمة الوسط - يلائم الفطرة البشرية، وينميها تنمية نظيفة دون إفراط أو تفريط. لقد شرع الإسلام الحجاب، وحرّم السفور والاختلاط، وينهى عن عوامل الاستثارة، فكبح بهذا جماح غريزة الإنسان الجنسية، وضبطها بضوابط شرعية خلقية، يحقق استخدامها في حياة أسرية متعاطفة رحيمة، تغذي التمدن الإنساني بالنسل الطاهر النظيف،

(١) «مجموعة رسائل الشيخ محمد الحامد» (ص ٥٠).

(٢) «في ظلال القرآن» لسيد قطب (ص ٢٥١١).

وأحكم الإسلام في نظامه الاجتماعي العلاقة بين الرجل والمرأة، واتخذ التدابير الوقائية التي تجعل هذه العلاقة قائمة على العفة والشرف والكرامة وصيانة العرض.

ومشروعية الحجاب في مقدمة تلك التدابير الوقائية حتى لا تكون هناك إثارة لغريزة الجنس، ومن ذلك تحريم الخلوة بالأجنبية، فلا يجوز للرجل أن يخلو بامرأة إلا أن يكون محرماً لها، ولو كان من أدنى أقارب زوجها. «إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت»(*) وهذا تعبير عن خطورة الخلوة، يجعلها مقرونة بالموت؛ لأنها تؤدي إلى هلاك الدين، فينبغي الحذر منها كما يحذر الإنسان من إغواء الشيطان، ووسوسة النفس، وتزيين السوء، فقال: «لا تلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم».

ذلك هو هدى الإسلام في صيانة العرض وحماية حوزته، وتربية غريزة الجنس، وتقويم معوجها، وهو أهدى سبيل لسعادة البشرية»[1].

وقد يظن بعض النساء أن الإسلام فرض عليهن الحجاب حفاظاً على عفتهن من الضياع، فيحتججن بأنهن عفيفات بدون حجاب، وإليهن أقول:

إن الإسلام فرض الحجاب على المرأة لمنع وقوع الرجال في فتنتهن ولحفظهن من الأذى المترتب على ذلك، فهو فريضة لا تتعلق الحكمة منها بالمرأة ذاتها فحسب، بل تتعداها إلى بقية النساء، وإلى الرجال في مجتمعها.

(*) ورد الحديث هكذا في مقال الشيخ «مناع خليل قطان» وقد رواه عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ وأخرجه الشيخان.

(١) عن مقال «الاختلاط ومفاسده» للشيخ مناع خليل قطان ـ صحيفة المسلمون ـ السنة الأولى ـ العدد ٥٢ ـ السبت ٢٢ جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ / ١ فبراير ١٩٨٦ م.

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي:

«إن عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها، وليست غطاء يُلقى ويُسدل على جسمها، وما كان للثياب أن تنسج لصاحبها عفة مفقودة، أو تخلق له استقامة معدومة، وما شرع الله حجاب المرأة ليخلق لها هذه العفة والطهارة في أخلاقها، وإنما شرعه محافظة على عفة الرجال الذين قد تقع أبصارهم على مفاتنها.

ولو كان المأمول في الحجاب أن يكون - كما يتوهم البعض - مجرد تصعيد لخلق الفتاة وعفتها، إذن لأجازت الشريعة الإسلامية أن تبرز الفتاة المحصنة الخلوقة عارية أمام الرجال كلهم، في أبهى مظاهر الفتنة والجمال»[1].

ونختم موضوع «لماذا فرض الله الحجاب»؟ بما أشار إليه الله سبحانه وتعالى في آيات الحجاب:

١ - ضمان الطهارة القلبية والنفسية للرجال والنساء؛ لأن الحجاب يكفل المحافظة على عفة الرجل، ومنع تلوث قلب المرأة بالباطل يقول تعالى:

﴿... وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ...﴾ (الأحزاب: ٥٣).

٢ - معرفة أن المتحجبة امرأة فاضلة محصنة، فلا يقربها أحد بأذى، سواء أكان ذلك بالقول أم بالفعل. يقول تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن

---

(١) «على طريق العودة إلى الإسلام» للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (ص ١٦٩).

جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٩).

٣ - إصلاح الرجال والنساء بالحرص على تجنيبهم سبل الغواية والضلال، وتوصيلهم إلى الفلاح والفوز والنجاة. يقول تعالى:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (سورة النور: ٣٠، ٣١).

على من يجوز للمسلمة إبداء زينتها؟

يسَّر الله على المرأة المسلمة، فسمح لها بإبداء زينتها لفئات معينة، رفعاً للحرج عنها، وبسبب أن الفتنة مأمونة من جانبهم عن غيرهم، فلا معنى لتحجبها عليهم. يقول الله تعالى مبيناً هذه الفئات:

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[1]

هؤلاء المذكورون تتفاوت رتبهم في رؤية زينة المرأة المسلمة، التي تكون إما خلقية بأن تكون جميلة أصلاً في خلقتها، أو مكتسبة وهي ما تحاوله المرأة في تحسين خلقتها بالحلي أو بارتداء الثياب الجميلة، وما إلى ذلك، ولنتناول من سمح الله للمرأة بإبداء زينتها لهم بشيء من التفصيل:

أولاً: البعل، وهو (الزوج): وقد أجاز الله له رؤية الزينة كلها، بل وأكثر من الزينة، إذ أن كل محلٍّ من بدنها حلال له لذة ونظراً، ولهذا المعنى بدأ الله تعالى بالبعولة؛ لأن اطلاعهم يقع على أعظم من الزينة. يقول تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾﴾[2].

ويهمني هنا أن أوضح حقيقة هامة مفيدة بالنسبة لموضوع النظر إلى عورة الزوج أو الزوجة؛ لأن بعض كتب التفسير أو الفقه جعلت الأمر محرماً، بينما الصحيح عكس ذلك، وما يشجعني على بيان ذلك الأمر إلا التزامي في بحثي هذا بإيراد الحقائق، والرد على الافتراءات، وكشف زيفها بما قدرني الله عليه من جهد، وأمر آخر، وهو أن الدين النصيحة خاصة وأن تقييد الزوجين من النظر إلى عورة بعضهما البعض قد يوقع الأزواج في

---

(١) سورة النور: ٣١.

(٢) سورة المؤمنون: ٥، ٦.

الحرج والوسوسة الدائمة المنهي عنها شرعاً، وقد قام مؤلف كتاب «اللقاء بين الزوجين في ضوء الكتاب والسنة» ببيان الأمر فقال:

«١ ـ حديث عائشة عند الطبراني: «ما رأيت عورة رسول الله ﷺ قط» وقد أبطل الحافظ ابن حجر هذا الحديث، ففي سنده رجلان كذابان وضاعان، وهما بركة بن محمد الحلبي، ومحمد بن القاسم الأسدي، وآخر ضعيف، وهو أبو صالح بازام.

وعلى هذا الحديث يُحمل حديث: «ما رأيت منه ولا رأى مني» الذي روته عائشة.

٢ ـ حديث: «إذا جامع أحدكم زوجته فلا ينظر إلى فرجها، فإنه يورث العمى»[1] وهو حديث موضوع، كما قال ابن الجوزي وأبو حاتم الرازي وغيرهما.

٣ ـ وقد أورد بعض العلماء حديثاً ينهى فيه رسول الله ﷺ عن التجرد أي (من الملابس) أثناء اللقاء الجنسي بين الزوجين هو: «إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولا يتجردا تجرد العيرين». وهذا حديث مهلهل السند، منكر المتن، وهو قول ساقط، وكيف يستتران من عمل هو من القربات إلى الله بنص حديث رسول الله ﷺ؟ يُؤجر الزوجان على إتيانه على وجه الكمال، وربما كان وجه الكمال عند البعض على هذا الحال وهو التجرد».

ثم قال في الحاشية: «وقد تتبع الشيخ ناصر الدين الألباني سند هذا

(١) ومثل ذلك الحديث ما نقله القرطبي في «تفسيره» (جـ ١٢ / ٢٣٢) دون ذكر الراوي ولا من أخرجه وذلك الحديث هو: (رُوي أن النبي ﷺ قال: «النظر إلى الفرج يورث الطمس» أي العمى، أي في الناظر. وقيل: «إن الولد بينهما أعمى») وهذا الحديث من تأليف الوضاعين الذين كذبوا على رسول الله ﷺ، وأولئك تنتظرهم مقاعدهم من النار؛ لإضلالهم الأمة، وتشويشهم للعقول، وتشويههم للدين.

الحديث بما يوهنه، ويفقده حجيته في هذه المسألة، ونحن نسوق كلامه لعل فيه بلاغاً لمن يريدون السنة الصريحة، قال:

«أخرجه ابن ماجه عن عتبة بن عبد السلمي، وفي سنده الأحوص بن حكيم، وهو ضعيف، وبه أعله البوصيري، وفيه علة أخرى: هي ضعف الراوي عنه، الوليد بن القاسم الهمداني، ضعفه ابن معين وغيره، وقال ابن حبان: «انفرد عن الثقات بما لا يشبه حديثهم، فخرج عن حد الاحتجاج به». وجزم العراقي في تخريج الإحياء بضعف سنده، وأخرجه النسائي في عشرة النساء، والمخلص في «الفوائد المنتقاة»، وابن عدي عن عبدالله بن سرجس، وقال النسائي: «حديث منكر، وصدقة بن عبدالله أحد رواته، ضعيف». ورواه ابن أبي شيبة عن أبي قلابة مرفوعاً، وهو مرسل، وأخرجه الطبراني، والعقيلي في «الضعفاء»، والبيهقي في «سننه» عن ابن مسعود، وضعفه البيهقي بقوله: «تفرد به مندل بن علي وليس بالقوي». ثم ذكره بنحوه من حديث أنس وقال: إنه منكر». اهـ. من الحاشية.

ثم قال مؤلف «كتاب اللقاء بين الزوجين في ضوء الكتاب والسنة»:

«وفي مواجهة هذه الأباطيل جاءت أحاديث صحيحة ومنها:

١ ـ أن عثمان بن مظعون شكا إلى رسول الله ﷺ حياءه من النظر إلى عورة زوجته، فقال له رسول الله ﷺ «كيف وقد جعلها الله لك لباساً وجعلك لها لباساً؟ قال: إني أستحيي من ذلك. قال: فإني أفعله وهن يفعلنه».

٢ ـ حديث معاوية بن حيدة عند الترمذي وأبي داود وابن ماجه أنه قال: قلت: يا رسول الله! عوراتنا، ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك» وهذا نص في إباحة النظر إلى العورات بين الزوجين.

٣ ـ حديث عائشة عند الشيخين قالت: «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء بيني وبينه واحد، فيبادرني حتى أقول له: دع لي، دع لي، وهما جنبان». واستدل الفقهاء بهذا الحديث على جواز النظر كل من الزوجين إلى عورة الآخر»[١].

ثانياً: أما من يلي الزوج؛ فهم ذوو المحارم من الأقارب:

قال تعالى: ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾. ﴿أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾.

وكلمة الآباء تشتمل على الآباء وآباء الآباء وآباء الأمهات (أي الأجداد جميعاً) فللمرأة المسلمة أن تبرز زينتها لجدها من جهة الأب أو الأم، وكذلك لسائر أجدادها وأجداد زوجها، ويشمل الآباء: أعمام المرأة وأخوالها، دون أعمام زوجها وأخواله.

وقال تعالى: ﴿أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ﴾. ﴿أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾.

وكلمة الأبناء تشتمل على أبنائها وأبناء أبنائها وأبناء بناتها وذرياتهم جميعاً، وبالمثل يجوز للمرأة أن تبرز زينتها لأبناء زوجها من زوجته الأخرى، وكذلك أبناء أبناء زوجها، وأبناء بنات زوجها وذرياتهم جميعاً.

وقال تعالى: ﴿أَوْ إِخْوَانِهِنَّ﴾. ﴿أَوْ بَنِيٓ إِخْوَانِهِنَّ﴾. ﴿أَوْ بَنِيٓ أَخَوَاتِهِنَّ﴾.

والإخوان سواءً أكانوا من الأب أو الأم أو منهما معاً، يجوز للمرأة أن تبرز زينتها لهم، وكذلك أبناء الإخوان سواءً أكان آباؤهم إخوان المرأة من الأب أو الأم أو منهما معاً، وذرياتهم، وكذلك أبناء الأخوات سواءً منهن من كانت أختاً للمرأة من الأب أو الأم أو منهما معاً وذرياتهم.

---

(١) «اللقاء بين الزوجين في ضوء الكتاب والسنة» لعبد القادر أحمد عطا (ص ٩٢، ٩٣، ٩٧).

ملاحظة :

كل ما سبق كان تحريماً من جهة النسب[1]، أما التحريم من جهة الرضاعة؛ فهو كالتحريم من جهة النسب سواءً بسواء، أي يجوز للمرأة إبداء زينتها لآبائها، وآباء زوجها، وأبنائها، وإخوانها، وأبناء إخوانها وأبناء أخواتها، بالتفصيل السابق ذكره في التحريم من جهة النسب، وذلك بالنسبة للمذكورين يكون من جهة الرضاعة، لقوله ﷺ: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب» رواه مسلم. ويُعتبر التحريم في حالة النسب والرضاع مما ذكرناه سابقاً تحريماً مؤبداً، أما المحرّمات على الرجل حرمة مؤبدة بسبب المصاهرة[*] فهن (كما ورد في «فقه السنة» لسيد سابق):

«١ - أم زوجته وأم أمها وأم أبيها وإن علت[*] لقوله تعالى:

﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾.

٢ - ابنة زوجته التي دخل بها، ويدخل في ذلك بنات بناتها وبنات أبنائهن وإن نزلن[*]؛ لأنهن من بناتها لقوله تعالى:

﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾.

٣ - زوجة الابن وزوجة ابن ابنه، وزوجة ابن بنته وإن نزل لقوله تعالى:

---

(١) المقصود من التحريم بالنسب أي التحريم بالولادة، وهم أولو الأرحام، وليس ما هو متبادر إلى ذهن العامة أن كلمة النسب تعني المصاهرة.

(*) المحرمات من جهة المصاهرة لم يرد ذكرهن في الآية (٣١) من سورة النور، وإنما في آيات أخرى من القرآن الكريم. والمقصود بقوله: (وإن علت) أي ما قبل ذلك من جدات والمقصود بقوله: (وإن نزلن) أي ما بعد ذلك من ذرية في تسلسل المواليد والأجيال.

﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ ﴾ .

والحلائل جمع حليلة وهي الزوجة .

٤ ـ زوجة الأب وزوجة الجد وإن علا ؛ يحرم على الابن التزوج بحليلة أبيه بمجرد عقد الأب عليها ، حتى وإن لم يدخل بها لقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ »[١] .

تعقيب :

١ ـ جميع ما ذكرناه من المحرمات حرمة مؤبدة بالنسب أو الرضاع أو المصاهرة ، يجوز لهن أن يبدين زينتهن أو يجالسن الرجال المحرمين عليهن ، كما يجوز لهن السفر معهم والخلوة بهم ، وما عدا هؤلاء من النساء يعتبرن أجنبيات[٢] عن الرجل : كزوجة أخيه ، وبنت عمه ، وبنت عمته ، وبنت خاله ، وبنت خالته ، فكلهن أجنبيات (ولو كانوا من ضمن الأقارب) فلا يجوز لهن إبداء زينتهن له ، ولا أن يخلو بهن ، أو يسافر معهن ، وغير ذلك من الأمور .

٢ ـ تُعتبر أخت الزوجة وعماتها وخالاتها محرمات حرمة مؤقتة ، أي حرمة تمنع الزواج من إحداهن إذا كانت زوجة الرجل لا تزال في عصمته ، (أو بعبارة أخرى يحرم الجمع بين إحداهن وزوجة الرجل) ، فإذا زال المانع بطلاق الرجل لزوجته أو موتها ، جاز للرجل أن يتزوج بأختها أو خالتها أو عمتها ، ولا تتعلق بالحرمة المؤقتة أي لوازم أخرى خلاف حرمة الزواج بالجمع بين الأختين أو بين الزوجة وعمتها أو خالتها ، أو بمعنى آخر

(١) «فقه السنة» لسيد سابق (جـ ٢ ص ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣) باختصار .

(٢) الأجنبية هي كل امرأة ليست من محارم الرجل ، حتى ولو كانت من أقربائه ومعارفه ، وليست الأجنبية الغريبة فقط .

ليست الحرمة المؤقتة كالمؤبدة، فلا يجوز لأخت الزوجة أو عمتها أو خالتها إبداء زينتها أو الخلوة أو المسافرة مع زوج الأخت، بل يعتبرن أجنبيات عن الرجل، كغيرهن من سائر النساء الأجنبيات عنه.

يقول الإمام النووي:

«واعلم أن حقيقة المحرم من النساء التي يجوز النظر إليها والخلوة بها والمسافرة بها، كل من حُرِّم نكاحها على التأبيد (أي مدى الحياة وإلى الأبد) بسبب مباح لحرمتها». ثم يفسر الإمام النووي عبارته السابقة بقوله:

فقولنا: (على التأبيد): احتراز من أخت المرأة وعمتها وخالتها ونحوهن، وقولنا: (بسبب مباح): احتراز من أم الموطوءة بشبهة وبنتها، فإنهما تحرمان على التأبيد، وليستا محرمين؛ لأن وطء الشبهة لا يُوصف بالإباحة؛ لأنه ليس بفعل مكلف، وقولنا: (لحرمتها) احتراز من الملاعنة، فإنها محرمة على التأبيد بسبب مباح، وليست محرماً؛ لأن تحريمها ليس لحرمتها، بل عقوبة وتغليظاً والله أعلم» «صحيح مسلم بشرح النووي» (جـ ٩ / ١٠٥). ونتابع الآن ذكر من يجوز للمرأة إبداء الزينة عليهم من غير زوجها أو محارمها:

ثالثاً: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾.

يقول القرطبي:

«قوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾:

يعني المسلمات وتدخل في ذلك الإماء المؤمنات ولا يحل لامرأة مؤمنة أن تكشف شيئاً من بدنها بين يدي امرأة مشركة أو منكرة لوجود الخالق أو القضاء والقدر أو البعث والحساب كالكافرة وكذلك اليهودية والنصرانية. قال

ابن عباس رضي الله عنهما: لا يحل لمسلمة أن تراها يهودية أو نصرانية؛ لئلا تصفها لزوجها»[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾:

قال: احتراز عن النساء المشركات، فلا تكون المشركة قابلة للمسلمة، ولا تدخل معهن الحمام، لكن قد كن النسوة اليهوديات يدخلن على عائشة وغيرها، فيرين وجهها ويديها. بخلاف الرجال، فيكون هذا في الزينة الظاهرة في حق النساء الذميات، وليس للذميات أن يطلعن على الزينة الباطنة»[٢].

رابعاً: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾.

إن ظاهر الآية يشمل العبيد والإماء، إلا أن المسألة فيها خلاف فقهي، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾:

يدل على أن لها أن تبدي الزينة الباطنة لمملوكها، وفيه قولان: قيل: المراد الإماء، والإماء الكتابيات، كما قاله ابن المسيب، ورجحه أحمد وغيره، وقيل: هو المملوك الرجل، كما قاله ابن عباس وغيره، وهو الرواية الأخرى عن أحمد.

فهذا يقتضي جواز نظر العبد إلى مولاته، وقد جاءت بذلك أحاديث، وهذا لأجل الحاجة؛ لأنها محتاجة إلى مخاطبة عبدها، أكثر من حاجتها إلى

---

(١) «تفسير القرطبي» (الجزء ١٢ ـ ص ٢٣٣).

(٢) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» (المجلد ٢٢ ـ ص ١١١، ١١٢).

رؤية الشاهد والعامل والخاطب، فإذا جاز نظر أولئك، فنظر العبد أولى، وليس في هذا ما يوجب أن يكون محرماً يسافر بها، كغير أولي الإربة، فإنه يجوز لهم النظر، وليسوا محارم يسافرون بها، فليس كل من جاز له النظر جاز له السفر بها، ولا الخلوة بها، بل عبدها ينظر إليها للحاجة، وإن كان لا يخلو بها، ولا يسافر بها، فإنه لم يدخل في قوله ﷺ: «لا تسافر امرأة، إلا مع زوج أو ذي محرم»، فإنه يجوز له أن يتزوجها إذا أُعْتِقَ، كما يجوز لزوج أختها أن يتزوجها إذا طلق أختها، والمحرم من تحرم عليه على التأبيد، ولهذا قال ابن عمر: سفر المرأة مع عبدها ضيعة»[1].

خامساً: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾.

يقول صاحب كتاب التسهيل:

«التابع: معناه أن يتبع لشيء يُعطاه كالوكيل والمتصرف. ومعنى الإربة: الحاجة إلى الوطء. ومن الآية يتضح أنه يُشترط شرطان في رؤية غير ذوي المحارم للمرأة: أحدهما أن يكونوا تابعين، والآخر أن لا يكون لهم إربة في النساء: كالخصي، والمخنث، والشيخ الهرم، والأحمق، فلا يجوز رؤيتهم للنساء؛ إلا باجتماع الشرطين»[2].

وذكر القرطبي:

«إن معنى ﴿ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾:

أي الرجل يتبع القوم، فيأكل معهم، ويرتفق بهم، وهو ضعيف، لا يكترث للنساء، ولا يشتهيهن»[5].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) «التسهيل لعلوم التنزيل» للكلبي (الجزء ٣ ـ ص ٦٥) باختصار.

(٣) «تفسير القرطبي» (الجزء ١٢ ـ ص ٢٣٤).

والخلاصة؛ أن المقصود بـ ﴿ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾.

هم الرجال الذين يتبعون الناس؛ لينالوا من فضل طعامهم، من غير أن تكون لهم حاجة في النساء، ولا ميل إليهن، بأن يكون التابع شيخاً طاعناً في السن، فنيت شهوته، أو مخرفاً، أو أبله لا يدري من أمر النساء شيئاً، وبحيث أن تكون الفتنة مأمونة من جانبه، ولا يكون ممن ينقل أوصاف النساء.

وليس المراد بالتابع هو كل رجل كبير في السن فحسب، كما تتوهم بعض النساء، فيكشفن على الرجل لمجرد كبر سنه، مع أن في هؤلاء الكثير ممن فيهم الميل إلى النساء، وبالتالي يحرم على المرأة التكشف عليهم.

سادساً: ﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾.

فسَّر ابن كثير ذلك فقال:

«يعني لصغرهم، لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن، من كلامهن الرخيم، وتعطفهن في المشية، وحركاتهن، وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء، فأما إذا كان مراهقاً، أو قريباً منه بحيث يعرف ذلك، ويدريه ويفرّق بين الشوهاء والحسناء؛ فلا يُمَكَّنُ من الدخول على النساء»[1].

ويقول الشيخ محمد السايس (كما ورد نفس ما يقوله في «تفسير الكشاف» للزمخشري):

«وأما الأطفال؛ فقد قال الله فيهم:

﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (الجزء الثالث ـ ص ٢٨٥).

قال الراغب: كلمة «طفل» تقع على الجمع كما تقع على المفرد، فكأنه قيل: «أو الأطفال الذين لم يظهروا»، ويُقال: ظهر على الشيء إذا اطّلع عليه. ويُقال: ظهر على فلان إذا قوي عليه، فعلى الأول يكون المعنى (أو الطفل الذين لم يطّلعوا على عورات النساء) وهو كناية على أنهم لم يعرفوا ما العورة، ولم يميزوا بينها وبين غيرها، وعلى الثاني يكون المعنى (أو الطفل الذين لم يقووا على النساء) أي لم يبلغوا حد الشهوة والقدرة على الجماع». وينتهي الشيخ السايس بترجيح الرأي الأول فيقول:

«ويؤيد المعنى الأول أن الطفل مأمور بالاستئذان في أوقات ثلاثة، بيّنها الله تعالى بقوله:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ﴾.

ولا شك أن المأمور بذلك من الأطفال إنما هو الطفل الذي يعرف عورات النساء، ويُخشى من دخوله في هذه الأوقات، التي هي مظنة اختلال الستر، أي يحكي ما يراه، ويصف ما يقع عليه بصره، سواء أكان مراهقاً أم لا، فالطفل مأمور بالاستئذان في الأوقات الثلاثة، وهو الذي يعرف العورة، هو الذي ينبغي للمرأة ألا تبدي له شيئاً من زينتها، وعليه يكون المراد بالأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء، الأطفال الذين لا يعرفون ما العورة لصغرهم»[1].

ولقد ذهب إلى هذا المعنى الكثير من المفسرين، ومنهم ابن كثير،

(١) «تفسير آيات الأحكام» للشيخ محمد علي السايس (ص ١٦٥، ١٦٦)، و «الكشاف» للزمخشري (الجزء ٣ ـ ص ٦٢).

والقرطبي، والزمخشري، وعلى ذلك ينبغي العمل بهذا المعنى الذي رجّحه الشيخ السايس في تفسير الآية.

*　　*　　*

انتهينا بذلك من ذِكر من استثناهم الله عز وجل ممن يجوز لهم الاطّلاع على زينة المرأة، أما ما عدا هؤلاء جميعاً؛ فإنهم يعتبرون أجانب عن المرأة في حكم الشرع، حتى ولو كانوا من ضمن الأقارب كما بيّنا سابقاً، فعلى المرأة أن تحتجب عنهم حجاباً كاملاً بصورته الصحيحة التي سيأتي بيانها فيما بعد، ولقد ختم الله تعالى هذه الآية الكريمة بقوله جلَّ شأنه:

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾.

يقول الشيخ محمد عطية خميس:

«إسماع صوت الزينة كإبداء الزينة أو أشد، والغرض التستر، وقد كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق، وفي رجلها خلخال صامت لا يُسمع صوته، ضربت برجلها الأرض، فيَعلم الرجال طنينه، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك، وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستوراً، فتحركت بحركة لتُظهِر ما هو خفيّ، دخل في هذا النهي، لقوله تعالى:

﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾»[1].

قال ابن حزم في «المحلى» (٣ / ٢١٦):

«هذا نص على أن الرجلين والساقين مما يخفى ولا يحل إبداؤه».

وأقول: إن الآية ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾،

---

(١) «فقه النساء في الصلاة» لمحمد عطية خميس (ص ٦٤، ٦٥).

لم تحدد أن الضرب بالأرجل يكون لإسماع صوت الخلخال فحسب، بل تُنهى المرأة عن الضرب بالأرجل عموماً منعاً للفتنة، وإن الكعب العالي الذي تنتعله المرأة، ويكون عادةً من العظم أو الخشب أو الحديد، ومثبتاً عند كعب الحذاء، يصدر أثناء سير المرأة صوتاً موسيقياً منغماً، أشد في الفتنة من وسوسة الحلي، وأذكر أنني قرأت ذات مرة؛ أن أحد كبار الموسيقيين كتب لحناً كاملاً، مستلهماً إياه من سماعه لصوت الكعب العالي في أقدام النساء الغاديات والرائحات في الشارع أثناء جلوسه في أحد المقاهي!

وقياساً على الآية الكريمة أنصح بعدم تحريك المرأة ليدها المثقلة بالحلي، إذا كانت تخفيها تحت عباءتها، خوفاً من إصدار الرنين الفاتن، كما هو الحال في القدمين، أما إظهار الحلي فهو حرام؛ لأن صوته ـ وهو خفي ـ حرام، فما بالنا بإظهاره؟

ولتنتعل المرأة في خروجها أحذية ذات كعب من المطاط أو الفلين وما شاكلهما؛ لمنع إصدار صوت أثناء المشي في الشارع، أما في بيتها عند زوجها ومن سمح الله بإبداء زينتها عليهم فلتنتعل ما تشاء.

ومما يؤيد ما ذهبت إليه هو ما ورد في كتاب «أحكام النساء» لابن الجوزي من تعليق على الحديث النبوي الشريف: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن طيب الرجال ريح لا لون له، وإن طيب النساء لون لا ريح له».

قال المصنف رحمه الله:

«قلت: وإنما جُعل طيبهن مما لا ريح له؛ لئلا ينم عليهن، خصوصاً إذا خرجت المرأة من بيتها، وقد مُنعت المرأة مما ينم عليها، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾.

قيل: هو الخلخال، وقال ابن عقيل: ويُقاس على هذا تحريم الصرير في المداس»[1]. المداس: الحذاء.

ويقول ابن الجوزي عن النساء:

«أما أفعالهن الظاهرة القبيحة فكثيرة، ولهن مقابح يحتقرنها، وهي عظائم: كالصرير في الخف»[2]. الصرير في الخف: أي الصوت في الحذاء، كما هو مشاهد في الكعب العالي.

---

(١) «أحكام النساء» للحافظ عبد الرحمن بن علي بن الجوزي - تحقيق علي بن محمد يوسف المحمدي (ص ٢١٨).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٩٨).

الصورة الصحيحة للحجاب الشرعي(*)

لم يرد نص يجمع شروط الحجاب كلها مرة واحدة، وإنما وردت عدة نصوص متفرقة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، نتمكن بتجميعها من معرفة الشروط الأساسية لحجاب المؤمنات وهي:

أولاً: استيعاب جميع البدن مع استثناء العيون للرؤية.

ثانياً: أن لا يكون زينة في نفسه.

ثالثاً: أن يكون سميكاً لا يشف ما تحته من الجسم.

رابعاً: أن يكون فضفاضاً متجافياً عن الجسم، وغير محدد لأعضائه، وغير معظِّم للرأس.

خامساً: ألا تصدر عنه رائحة مميزة: كالطيب، والبخور، وما في حكمهما: كالريحان والورد.

سادساً: أن يخالف في هيئته لباس الرجال.

سابعاً: أن لا يشبه زي الراهبات من أهل الكتاب، أو زي الكافرات.

ثامناً: أن لا يكون لباس شهرة.

(*) قلت: الصورة الصحيحة للحجاب الشرعي تمييزاً عن غيرها من الصور المشوهة له، مما ترتديه المتحجبات اللاتي أخطأن في الطريق إلى الحجاب الشرعي الصحيح، وكل ما عدا الشروط التي ذكرتها باطل، ولا يكون حجاباً بل تبرجاً وضلالاً.

تفصيل هذه الشروط:

أولاً: استيعاب جميع البدن مع استثناء العيون للرؤية:

الدليل القرآني الأول على ذلك:

نتبين هذا الشرط من قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٩﴾ (سورة الأحزاب: ٥٩).

تربط الآية الكريمة بين ما يجب أن ترتديه زوجات النبي وبناته (وهن القدوة لنساء الأمة) وبين ما يجب أن ترتديه النساء المسلمات، بل وحتى أي امرأة تحت عصمة رجل مؤمن مسلم، وتجعل ما يجب عليهن ارتدائه جميعاً (الجلباب)... ولما كنا نجهل معناه؛ إنه من الواجب علينا عدم تفسيره وفق أهوائنا، بل علينا أن نتتبع معناه عند أهل الذكر؛ لقوله تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة النحل: ٤٣).

المعنى اللغوي للجلباب:

ورد في «لسان العرب» معنى الجلباب كما يلي:

«يقول ابن الأعرابي: الجلباب: الإزار، قال الأزهري: معنى قول ابن الأعرابي: (الجلباب: الإزار) لم يُرِدْ إزاراً لِحَقْو، ولكنه أراد إزاراً يُشتمل به فيجلل جميع الجسد»[1].

أما عن المعنى الشرعي للجلباب، وكيفية إدنائه كما ذكرت الآية الكريمة:

(١) «لسان العرب» (الجزء الأول ـ ص ٢٦٥).

ذكر الزمخشري في «الكشاف»:

«الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها، وتُبقي منه ما ترسله على صدرها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الرداء: الذي يستر من فوق إلى أسفل، ومعنى (يدنين عليهن من جلابيبهن) يرخينها عليهن، ويغطين بها وجوههن وأعطافهن، يُقال إذا زلَّ الثوب عن وجه المرأة: أدني ثوبك على وجهك»[1].

وذكر القرطبي في «تفسيره»:

«الجلابيب: جمع جلباب، وهو ثوب أكبر من الخمار، والصحيح أنه الثوب الذي يستر جميع البدن»[2].

يتبين مما سبق؛ أن الجلباب ثوب يستر جميع البدن بدون استثناء شيء.

وأورد الشيخ الصابوني طائفة من أقوال المفسرين في وجوب ستر الوجه وهي:

«**أولاً**: قال ابن الجوزي في قوله تعالى:

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾:

أي يغطين رؤوسهن ووجوههن؛ ليُعلم أنهن حرائر.

ثانياً: وقال أبو حيان في البحر المحيط: وقوله تعالى:

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ شامل لجميع أجسادهن.

---

(١) «الكشاف» للزمخشري (المجلد الثالث ص ٢٧٤).

(٢) «تفسير القرطبي» (الجزء ١٤ ـ ص ٢٤٣).

أو المراد بقوله : ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ :

أي على وجوههن ؛ لأن الذي كان يبدو منها في الجاهلية هو الوجه .

ثالثاً: وقال أبو السعود : الجلباب ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء ، تلويه المرأة عل رأسها ، وتُبقي منه ما ترسله على صدرها ، ومعنى الآية : أي يغطين بها وجوههن وأبدانهن إذا برزن لداعية من الدواعي . وعن السدي : تغطي إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر؛ إلا العين .

رابعاً: وقال أبو بكر الرازي (المشهور بالجَصَّاص) : وفي هذه الآية :

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ :

دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجنبيين ، وإظهار الستر والعفاف عند الخروج ؛ لئلا يطمع فيها أهل الريب .

خامساً: وفي تفسير الجلالين : الجلابيب : جمع جلباب : وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة ، قال ابن عباس : أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب ؛ إلا عيناً واحدة ؛ ليُعلم أنهن حرائر.

سادساً: وفي «تفسير الطبري» عن ابن سيرين أنه قال : سألت عبيدة السلماني عن قوله تعالى :

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ :

فرفع ملحفة كانت عليه ، فتقنّع بها ، وغطى رأسه كله حتى بلغ الحاجبين ، وغطى وجهه ، وأخرج عينه اليسرى من شق وجهه الأيسر ، ورُوي مثل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما»[1] .

ويورد الشيخ محمد علي الصابوني تفسيراً للإدناء والجلباب مأخوذاً من المصحف المفسر وتفسير الجلالين وحاشية الجمل فيقول :

---

(١) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن للصابوني الجزء الثاني ـ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

«يدنين: أي يسدلن ويُرخين. وأصل الإدناء التقريب، يُقال للمرأة إذا زلَّ الثوب عن وجهها: أدني ثوبك على وجهك. والمراد في الآية الكريمة: يغطين وجوههن وأبدانهن؛ ليُميزن عن الإماء والقيّنات.

جلابيبهن: جمع جلباب، وهو الثوب الذي يستر جميع البدن، قال الشهاب: هو إزار يُلتحف به، وقيل: هو الملحفة وكل ما يغطي سائر البدن»[1].

ولقد أطلت في بيان معنى الجلباب؛ لأنه هو الزيّ الذي أمر الله نساء النبي وبناته ونساء المؤمنين بارتدائه، ومن المعلوم أن نساء النبي كُنَّ يغطين وجوههن بعد نزول الحجاب إلى آخر حياتهن، مما يثبت أنه من الواجب (وليس من الجائز) على نساء المسلمين تغطية وجوههن عن الأجانب.

ومن الغريب أنه بعد ذلك كله نسمع من يقول: أريد أن أقتنع بتغطية الوجه، أريد أدلة عليها، وهو يعلم ما ذكرته وصدق من قال: «لا تحاول إقناع من لا يريد الاقتناع»، وعموماً؛ فإن لدينا أدلةً أخرى سنوردها بمشيئة الله تعالى.

الدليل القرآني الثاني على وجوب ستر الوجه يتضح من قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (سورة النور: ٣١).

ذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» باب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾:

«عن عائشة رضي الله عنها قالت: «يرحم الله نساء المهاجرات الأول،

---

(١) المصدر السابق الجزء الثاني - ص ٣٧٤، ٣٧٥.

لما أنزل الله ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ :

شققن مروطهن فاختمرن بها». يقول الشارح وهو الحافظ ابن حجر: (فاختمرن) أي غطين وجوههن، وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر وهو التقنع»[1].

وذكر الحافظ ابن كثير تفسيرين لتلك الآية الكريمة فقال:

«﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ :

أي لا يُظهرن شيئاً من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه. قال ابن مسعود: كالرداء والثياب. يعني على ما كان يتعاطاه نساء العرب من المقنعة التي تجلل ثيابها(*)، وما يبدو من أسافل الثياب فلا حرج عليها فيه؛ لأن هذا لا يمكنها إخفاؤه. وقال بقول ابن مسعود الحسن وابن سيرين وأبو الجوزاء وإبراهيم النخعي وغيرهم. وقال الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ :

قال: وجهها وكفيها والخاتم. ورُوي عن ابن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء والضحاك وإبراهيم النخعي وغيرهم نحو ذلك. **وهذا يُحتمل أن يكون تفسيراً للزينة التي نُهين عن إبدائها**، كما قال أبو إسحق السبيعي عن أبي الأحوص عن عبدالله قال: في قوله:

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ :

الزينة: القرط والدملوج والخلخال والقلادة، وفي رواية عنه بهذا

---

(١) «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن حجر (الجزء ٨ ـ ص ٣٤٦).

(*) يقصد ابن مسعود بالزينة الظاهرة الثياب الخارجية، أي قماش الجلباب الذي يغطي جسمها وملابسها، أما لماذا اعتُبرت الثياب زينة؟ فهو لأنها تستر العورات لقول الله تعالى:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ ﴾. (الأعراف: ٣١).

الإسناد قال: الزينة زينتان: فزينة لا يراها إلا الزوج: الخاتم والسوار، وزينةٌ يراها الأجانب، وهي الظاهر من الثياب»[1].

وقد تمسّك القائلون بإباحة كشف المرأة لوجهها في عصرنا الحاضر بقول ابن عباس في تفسيره للآية، وتركوا قول ابن مسعود (حسب أهوائهم ورغباتهم دون ترجيح) وعلى هؤلاء يرد فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين قائلاً:

«نجيب عن تفسير ابن عباس من ثلاثة أوجه:

أحدهما: محتمل أن مراده أول الأمرين قبل نزول آية الحجاب، كما ذكره شيخ الإسلام.

الثاني: يحتمل أن مراده الزينة التي نُهي عن إبدائها، كما ذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره»، ويؤيد هذين الاحتمالين تفسيره رضي الله عنه (يقصد تفسير ابن عباس) لقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾.

[أقول: والتفسير هو: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة].

الثالث: إذا لم نسلّم أن مراده أحد هذين الاحتمالين، فإن تفسيره لا يكون حجة يجب قبولها إلا إذا لم يعارضه صحابي آخر، فإن عارضه صحابي آخر أُخذ بما ترجحه الأدلة الأخرى، وابن عباس رضي الله عنهما قد عارض

---

(١) «تفسير ابن كثير» (الجزء الثالث - ص ٢٨٣).

تفسيره ابن مسعود رضي الله عنه حيث فسّر إلا ما ظهر منها بالرداء والثياب وما لا بد من ظهوره، فوجب طلب الترجيح والعمل بما كان راجحاً من تفسيريهما»[1].

يقصد الشيخ ابن عثيمين بطلْب الترجيح أي عنْ طريق الأدلة الأخرى.

أما الدليل القرآني الثالث على وجوب ستر الوجه؛ فهو في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.

في هذه الآية الكريمة فرض الله تعالى الحجاب على نساء النبي، فلم يكن يجوز للرجال مخاطبتهن إلا من وراء حجاب: كجدار أو ستار سميك أو ما شابه ذلك، فكان لا يجوز رؤيتهن أبداً، ولكنَّ الله تعالى رحمةً بهن أذن بعد ذلك بخروجهن متنقبات مرتديات الجلابيب لقضاء الحاجة، إذ أن الآية الكريمة نُسخت بالحديث الصحيح من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة (إحدى نساء النبي ﷺ) بعدما ضُرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها (أي كانت امرأة ضخمة الجسم، يعرف من يراها أنها سودة، لتميزها عن نساء النبي الباقيات بذلك، فبعدما ضُرب الحجاب على نساء النبي خرجت لتقضي حاجتها الضرورية من براز وغيره، كما دلت على ذلك روايات أخرى، فعرفها عمر رغم تنقبها من هيئتها الخارجية) فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سودة! أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين؟ قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق. فدَخلتْ

---

(١) «رسالة الحجاب» لفضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين (ص ١٩، ٢٠).

فقالت: يا رسول الله! إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر: كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه ثم رُفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: «إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن» رواه البخاري. معنى العرق: اللحم المختلط بالعظم.

والذي جعلني أُجزم أن سودة خرجت متنقبة أو مغطية لوجهها، هو أن ذلك ما وجب على نساء النبي بصفة خاصة، ونساء المؤمنين بصفة عامة، كما بينا ذلك في الآية المتعلقة بالجلاليب، وكما ثبت من حديث الإفك عندما قالت عائشة رضي الله عنها «وكان صفوان بن المعطل السُّلَمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأدلج، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي» يقول ابن حجر شارحاً ما سبق:

«فعرفني حين رآني (هذا يُشعر بأن وجهها انكشف لما نامت، فلما انتبهت باسترجاع صفوان بادرت إلى تغطية وجهها) وكان يراني قبل الحجاب (أي قبل نزول آية الحجاب، وهذا يدل على قدم إسلام صفوان)»[1].

وخلاصة القول؛ أن تغطية نساء النبي لوجوههن إلى آخر حياتهن يدل على وجوب نفس الشيء على نساء المؤمنين؛ لأن آية الجلباب جعلت ذلك واجباً عليهن جميعاً.

أما الدليل القرآني الرابع على وجوب ستر الوجه؛ فهو في قوله تعالى بشأن القواعد من النساء:

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن

(١) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن حجر (المجلد الثامن ص ٤٥٢ ـ ص ٤٦٣) باختصار.

يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ (سورة النور: ٦٠).

يقول الأمير الصنعاني:

«وقد أجمع المسلمون ـ كما نقله الموزعي ـ على أنه لا يجوز للقواعد أن يضعن الثياب عما عدى الوجه واليدين، وهذا يدل على أن الجُناح باق في غير القواعد، فلا يُباح لهن كشف الوجه واليدين للأجانب»[1].

ومن الأدلة على وجوب ستر الوجه من السنة النبوية المطهرة ما يلي:

١ ـ روى البزار: حدثنا محمد بن المثنى: حدثنا عمر بن عاصم: حدثنا همام عن قتادة عن مورق عن أبي الأحوص عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها» رواه الترمذي عن بندار عن عمرو بن عاصم نحوه. استشرفها أي: زينها في نظر الرجال. وقد ذكر هذا الحديث صاحب مجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

نلاحظ من نص الحديث؛ أن رسول الله ﷺ ذكر أن المرأة كلها عورة، ولم يستثن شيء مما يدل على أن وجهها من ضمن ما يجب عليها ستره.

٢ ـ وكذلك ما ورد أن النبي ﷺ لما أمر بإخراج النساء إلى مصلى العيد قلن: يا رسول الله! إحدانا لا يكون لها جلباب، فقال النبي ﷺ: «لتلبسها أختها من جلبابها» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

---

(١) حاشية الأمير الصنعاني «منحة الغفار على ضوء النهار» (ص ٢٠١١).

فهذا الحديث يدل على أن المعتاد عند نساء الصحابة أن لا تخرج المرأة إلا بجلباب، وأنها عند عدمه لا يمكن أن تخرج، ولذلك ذكرن رضي الله عنهن هذا المانع لرسول الله ﷺ حينما أمرهن بالخروج إلى مصلى العيد، فبين رسول الله ﷺ لهن حل هذا الإشكال، بأن تستعير التي ليس لها جلباب من أختها المسلمة جلباباً، ولم يأذن لهن بالخروج بغير جلباب، مع أن الخروج إلى مصلى العيد مشروع، ومأمور به للرجال والنساء، فإذا لم يأذن لهن بالخروج بغير جلباب فيما هو مأمور، فكيف يرخص لهن في ترك الجلباب لخروج غير مأمور به ولا تحتاج إليه بل هو للتجول في الشوارع؟!

ومن المعلوم أن معنى الجلباب: هو الثوب الذي يغطي الجسم كله بما فيه الوجه، وسبق تفسير معناه فيما تقدم.

٣ ـ «وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كانت عند أم سليم يتيمة، فرآها رسول الله ﷺ، فقال: أنتِ هِيَه؟! فقد كبرت، لا كَبِر سِنّك ـ أو قَرْنُكِ ـ فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي، فقالت لها: مالك يا بنية؟ فقالت: دعا عليّ نبيّ الله أن لا يكبر سنّي، فإذن لا يكبر سنّي أبداً أو قالت: قرني، فخرجت أم سليم مستعجلة تلوث خمارها حتى لقيت رسول الله ﷺ، فقال لها رسول الله ﷺ: مالك يا أم سليم؟ فقالت: يا نبي الله! دعوت على بنتي. فقال: وما ذلك يا أم سليم؟ قالت: زَعَمَتْ أنك دعوت أن لا يكبر سنها، أو قَرْنُها، فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: يا أم سليم! أما تعلمين شرطي على ربي؟ إني اشترطت على ربي، فقلت: إنما أنا بشر، أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيُّما أحدٍ دعوت عليه من أمتي بدعوةٍ ليس لها بأهل، أن تجعلها له طهوراً وزكاة وقربة تقرِّبه بها يوم القيامة» أخرجه مسلم.

شرح الغريب: (تلوث خمارها) لاث العمامة على رأسه يلوثها، إذا

عصبها، ولاثت المرأة الخمار: إذا شدَّته على وجهها»[1].

فأين هذه الأحاديث الصحيحة من الحديث الضعيف الذي استند إليه كل من أجاز للمرأة أن تكشف وجهها، مع أن الحديث الضعيف لا يُعتمد عليه في الأحكام الشرعية، فضلاً عن أنه يتعارض مع ما تقدم من أدلة قرآنية وأحاديث صحيحة، وهذا الحديث الذي أقصده هو ما رواه أبو داود في «سننه» عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها وقال: «يا أسماء! إن المرأة إذا بلغت سن المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه».

يبين الشيخ ابن عثيمين أن هذا الحديث ضعيف من وجهين:

«**أحدهما**: الانقطاع بين عائشة وخالد بن دريك الذي رواه عنها، كما أعلم بذلك أبو داود نفسه حيث قال: خالد بن دريك لم يسمع من عائشة، وكذلك أعلّه أبو حاتم الرازي.

الثاني: إن في إسناده سعيد بن بشير النصري نزيل دمشق، تركه ابن مهدي، وضعفه أحمد وابن معين وابن المديني والنسائي، وعلى هذا فالحديث ضعيف لا يقاوم ما تقدم من الأحاديث الصحيحة الدالة على وجوب الحجاب»[2].

وأقول: إن متن الحديث مخالف لما عليه أسماء بنت أبي بكر من تحفظ وصيانة، أيعقل أن تدخل أسماء على النبي ﷺ بثياب رقاق مع أنها كانت في إحرامها للحج تغطي وجهها بالرغم من أن المرأة يجب عليها كشف وجهها

---

(١) «جامع الأصول في أحاديث الرسول» لابن الأثير الجزري بتحقيق وتخريج وتعليق عبد القادر الأرناؤوط (جـ ١٠ / ٧٧٤).

(٢) «رسالة الحجاب» للشيخ ابن عثيمين (ص ٢٠).

للإحـــرام؟ (أي في العبــادات فقـط، وليس في غير ذلك؛ إلا في حالات الضرورة: كالخطبة، والشهادة، والمداواة). «فعـن فاطمـة بنـت المنـذر رحمها الله قالت: كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات مع أسماء بنت أبي بكر. أخرجه في «الموطأ».

ذكر الأرناؤوط في الحاشية: ١ / ٣٢٨ في الحج، باب تخمير المحرم وجهـه، وإسنـاده صحيح، ورواه الحـاكم ١ / ٤٥٤ وصححـه ووافقـه الذهبي. وفي الحديث مشروعية ستر الوجه للمرأة، لأنه كان معروفاً في عهد النبي ﷺ، وأن نساء النبي ﷺ كن يغطين وجوههن، حتى في الإحرام إذا مرَّ الركبان بهن»[١].

وحتى بفرض صحة حديث أسماء والثياب الرقاق، فإن هذا يحتمل أن يكون قبل فرض الحجاب كما بين ذلك ابن قدامة في كتاب «المغني» حيث قال:

«وأما حديث أسماء - إن صح - فيُحتمل أنه كان قبل نزول الحجاب فنحمله عليه»[٢].

وأكتفي بهذا القدر من الأحاديث الدالة على وجوب ستر الوجه ومن يُرد الزيادة ومعرفة دليل من قال بجواز كشف الوجه أمام الرجال الأجانب والرد علـى ذلك فليرتقـب بحثنـا «كشف الشبهـات عن حجـاب المؤمنـات» ففيه الكفاية.

أما بالنسبة لمن خلطوا بين لباس المرأة في العبـادات ولباسهـا أمـام الرجال الأجانب، ووقعوا في هذه الشبهة؛ لأنه من الواجـب علـى المـرأة

(١) «جامع الأصول في أحاديث الرسول» لابن الأثير بتحقيق عبد القـادر الأرنـاؤوط (الجـزء الثالث - ص ٣١).
(٢) «المغني» لابن قدامة (جـ ٦ / ٥٥٩).

كشف وجهها في العبادات، فنقول لهم: إن عورة المرأة في الصلاة غير مرتبطة أبداً بعورتها بالنسبة للرجال الأجانب، بل إن الله فرض الحجاب بعد فرضية الصلاة بعدة سنوات، مما يدل على الاختلاف بين اللباسين في الصلاة وخارجها، ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك الأمر فيقول:

«إن المرأة لو صلت وحدها كانت مأمورة بالاختمار، وفي غير الصلاة يجوز لها كشف رأسها في بيتها، فأخذ الزينة في الصلاة لحق الله، وليس لتحتجب عن الناس فهذا نوع وهذا نوع، فقد يستر المصلي في الصلاة ما يجوز إبداؤه في غير الصلاة، وقد يبدي في الصلاة ما يستره عن الرجال، فالمرأة الحرة تختمر في الصلاة كما قال النبي ﷺ: «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار»، وهي لا تختمر عند زوجها، ولا عند ذوي محارمها، فقد جاز لها إبداء الزينة الباطنة لهؤلاء، ولا يجوز لها في الصلاة أن تكشف رأسها لهؤلاء ولا لغيرهم.

وعكس ذلك الوجه واليدان والقدمان ليس لها أن تبدي إلا الثياب، وأما ستر ذلك في الصلاة (أي الوجه والكفين) فلا يجب باتفاق المسلمين، فإنه ليست العورة في الصلاة مرتبطة بعورة النظر (أي نظر الأجنبي إليها) لا طرداً أو عكساً»[1].

ويقول ابن قدامة: «ويُكره أن تنتقب المرأة وهي تصلي؛ لأنه يخل بمباشرة المصلّى بجبهتها وأنفها، ويجري مجرى تغطية الفم للرجل، وقد نهى النبي ﷺ عنه قال ابن عبد البر: وقد أجمعوا على أن على المرأة أن تكشف وجهها في الصلاة والإحرام»[2].

ومن ذلك نتبين أن عورة المرأة في الصلاة تختلف عن عورتها بالنسبة لنظر الرجال الأجانب إليها.

(١) «حجاب المرأة ولباسها في الصلاة» لابن تيمية (ص ٩ ـ ١١) باختصار.

(٢) «المغني» لابن قدامة (الجزء الأول ـ ص ٦٠٣).

وننتقل الآن إلى بيان باقي شروط الحجاب الصحيح، بعد أن أسهبنا القول في الشرط الأول، الذي يتعلق بستر الجسد كله، بما فيه الوجه والكفان والقدمان، بسبب الجدل العقيم الدائر حول الوجه هل يجوز كشفه أم يجب ستره؟

ثانياً: أن لا يكون زينة في نفسه:

يقول الشيخ الصابوني:

«ألا يكون زينة في نفسه، أو مبهرجاً ذا ألوان جذابة تلفت الأنظار؛ لقوله تعالى:

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾.

ومعنى ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾:

أي بدون قصد ولا تعمد، فإذا كان في ذاته زينة فلا يجوز ارتداؤه ولا يُسمى (حجاباً)؛ لأن الحجاب هو الذي يمنع ظهور الزينة للأجانب»[1].

فأين هذا الشرط مما تفعله المتحجبات المتبرجات بأنفسهن؟!

فعلى من تريد أن ترتدي الحجاب، وتُنسب حقاً إليه، أن تراعي فيه أن يكون من لون داكن وأفضل الألوان لذلك اللون الأسود؛ لأنه أبعدها عن الزينة والفتنة، كما يجب أن يكون خالياً من الزخارف والنقوش مما يلفت النظر بالإضافة إلى انسداله من الرأس ليغطي باقي الجسم، لا أن يكون على قدر الرأس مع التفنن في بهرجته!

الشرط الثالث: أن يكون سميكاً لا يشف ما تحته من الجسم:

وذلك لقوله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: نساء كاسيات

---

(١) «روائع البيان» للصابوني (الجزء الثاني - ص ٣٨٤، ٣٨٥).

عاريات مائلات مميلات، علـى رؤوسهن أمثال أسنمة البخت المائلة، لا يرين الجنة ولا يجدن ريحها. . .» الحديث رواه أحمد ومسلم.

يقول صاحب نيل الأوطار:

«الحديث ساقه المصنف للاستدلال به علـى كراهـة لبس المـرأة ما يحكي بدنها، وهو أحد التفاسير للكاسيات العـاريات، فقـد قيل: إن من معناه: تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها»[1].

وعن جرير بن عبدالله قال: «إن الرجل ليلبس وهو عار» يعني الثياب الرقاق. رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح ـ نقلته عن «مجمع الزوائد» (جـ ٥ / ١٣٦).

وورد في «جامع الأصول»: «عن علقمة بن أبي علقمة عن أمه ـ رضي الله عنها ـ قالت: «دخلت حفصة بنت عبد الرحمن على عائشة، وعليها خمارٌ رقيق، فشقته عائشة وكستها خماراً كثيفاً» أخرجه في «الموطأ».

وذكر عبد القادر الأرناؤوط (محقق الكتاب) في الحاشية: أنه حديث حسن»[2].

ويقول الشيخ الصابوني عن هذا الشرط:

«أن يكون كثيفاً غير رقيق؛ لأن الغرض من الحجاب الستر، فإن لم يكن ساتراً لا يُسمى حجاباً؛ لأنه لا يمنع الرؤية، ولا يحجب النظر»[3].

---

(١) «نيل الأوطار» للشوكاني (جـ ٢ / ١٣٠، ١٣١).

(٢) «جامع الأصول في أحاديث الرسول» لابن الأثير ـ بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط (الجزء العاشر ـ ص ٦٤٧).

(٣) «روائع البيان» للصابوني (الجزء الثاني ص ٣٨٤، ٣٨٥).

الشرط الرابع : أن يكون فضفاضاً متجافياً عن الجسم، وغير محدد لأعضائه، وغير معظم للرأس :

ويمكن الاستدلال على هذا الشرط بحديث النساء الكاسيات العاريات الوارد في بداية الشرط السابق ؛ لأن معنى الكاسيات العاريات يحتمل المعنى الموجود في هذين الشرطين، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

«وما كان من لباس الرجال : مثل العمامة ، والخف ، والقباء الذي للرجال ، والثياب التي تُبدي مقاطع خلقتها ، والثوب الرقيق الذي لا يستر البشرة ، وغير ذلك ، فإن المرأة تُنهى عنه ، وعلى وليها : كأبيها ، وزوجها أن ينهاها عن ذلك»[1] .

وبذلك نتبين أن ما تفعله بعض المتحجبات من ارتداء ملابس محددة للخصر والصدر : كالبلوزة ، والتنورة ولو كانت طويلة ، لا يفي بشروط الحجاب الصحيح .

الشرط الخامس : ألا تصدر عنه رائحة مميزة : كالطيب، والبخور، وما في حكمهما : كالريحان :

إن تعطر المرأة أو تبخرها أو حملها لما يُصدر رائحة طيبة : مثل الورد ، والريحان ، والفل ، والياسمين ، ومثل ذلك ، ثم خروجها فيشمها الرجال ، فإنها تصبح في حكم الزانية ؛ لقوله ﷺ : «كل عين زانية ، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا» وكذا يعني زانية . رواه أبو داود والترمذي ، وأثبت الحافظ ابن كثير في «تفسيره» : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لقيته امرأة شمَّ منها ريح الطيب ، ولذيلها إعصار فقال : ياأمَةَ

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (المجلد ٢٢ ص ١٤٦) .

الجبار! جئت من المسجد؟ قالت: نعم. قال لها: تطيبت؟ قالت: نعم، قال: إني سمعت حبي أبا القاسمﷺ يقول: «لا يقبل الله صلاة امرأة طيبت لهذا المسجد، حتى ترجع، فتغتسل غسلها من الجنابة» رواه أبو داود وابن ماجه[1].

فإذا كان النهي عن الطيب، والبخور، وما في حكمهما من نباتات عطرية (لأنه منها تستخرج العطور) للمرأة التي تخرج للمسجد، فما بالنا بمن تتطيب للشوارع والنوادي والمنتزهات؟!

الشرط السادس: أن لا يشبه لباس الرجل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول اللهﷺ الرجل الذي يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل» أخرجه أبو داود.

ويعلق الشوكاني على هذا الحديث بقوله:

«والحديث يدل على تحريم تشبه النساء بالرجال، والرجال بالنساء؛ لأن اللعن لا يكون إلا على فعل محرم، وإليه ذهب الجمهور»[2].

ولقد ساد في وقت من الأوقات، أن ترتدي المرأة بنطلوناً واسعاً وفوقه «جاكيت» قصيرة، وتغطي شعرها، وتعتقد أنها أصبحت متحجبة، مع أن ذلك يخالف الشرط المذكور للحجاب الشرعي الصحيح.

ويجيب شيخ الإسلام ابن تيمية عندما سُئل عن حكم لبس النساء للعمائم على رؤوسهن:

«هذه العمائم التي تلبسها النساء حرام بلا ريب، ففي الصحيح عن النبيﷺ أنه قال: صنفان من أهل النار من أمتي لم أرهما بعد: نساء

---

(١) «تفسير ابن كثير» (جـ ٣ / ٢٨٦).

(٢) «نيل الأوطار» للشوكاني (جـ ٢ / ١٣١).

كاسيات عاريات، مائلات مميلات، على رؤوسهن مثل أسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، ورجال معهم سياط مثل أذناب البقر يضربون بها عباد الله.

وأيضاً فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء».

إلى أن يقول: وما كان من لباس الرجال مثل: العمامة، والخف، والقباء الذي للرجال، فإن المرأة تنهى عنه، وعلى وليها: كأبيها وزوجها أن ينهاها عن ذلك»[1].

الشرط السابع: أن لا يشبه زي الراهبات من أهل الكتاب، أو زي الكافرات:

وذلك لأن الشريعة نهت عن التشبه بالكفار، سواء في الأقوال أم الأفعال أو الملابس وسائر الأمور، وكذلك أمرت بمخالفة أهل الكتاب في الزي والهيئة.

ومن الأحاديث التي نهت عن ذلك: عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: رأى النبي ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين فقال: «أمك أمرتك بهذا؟» قلت: أغسلهما؟ قال: «بل احرقهما». وفي رواية فقال: «إن هذا من ثياب الكفار فلا تلبسهما» رواه مسلم.

الشرط الثامن: أن لا يكون ثوب شهرة:

والدليل على ذلك ما رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من لبس ثوب شهرة في الدنيا؛

---

(١) من «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (جـ ٢٢ ـ ص ١٥٥، ١٥٦).

ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة». والحديث أخرجه النسائي أيضاً، ورجال إسناده ثقات.

قال في «جامع الأصول»:

«(ثوب شهرة) ثوب الشهرة: هو الذي إذا لبسه الإنسان افتُضح به، واشتهر بين الناس، والمراد به: ما ليس من لباس الرجال، ولا يجوز لهم لبسه شرعاً ولا عرفاً»[1].

وورد التعليق على هذا الحديث للشوكاني وهذا نصه:

«قال ابن الأثير: الشهرة: ظهور الشيء، والمراد أن ثوبه يشتهر بين الناس لمخالفة لونه لألوان ثيابهم، فيرفع الناس إليه أبصارهم، ويختال عليهم بالعجب والتكبر، والحديث يدل على تحريم ثوب الشهرة. وإذا كان اللبس لقصد الاشتهار في الناس، فلا فرق بين رفيع الثياب ووضيعها، والموافق لملبوس الناس والمخالف؛ لأن التحريم يدور مع الاشتهار، والمعتبر القصد (أي النية)، وإن لم يطابق الواقع»[2].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وتكره الشهرة من الثياب، وهو المترفع عن العادة، والمنخفض الخارج عن العادة»[3].

وننتهي بذلك من ذكر شروط الحجاب الشكلية، ويبقى التنبه على شرط جوهري وهو عدم التثني والتمايل أثناء المشي؛ لأن ذلك من فعل المتبرجات الذميم (مائلات مميلات)، وأنه ليجدر بنا جميعاً اتباع شرع

---

(١) «جامع الأصول في أحاديث الرسول» (حـ ١٠ ـ ص ٦٥٨).

(٢) «نيل الأوطار» للشوكاني (جـ ٢ / ١٢٦).

(٣) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (المجلد ٢٢ ص ١٣٨).

الله ، وعدم مخالفته لقوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ .

والله أسأل لي وَلَكُنَّ التوفيق والفلاح والرضا والرضوان والعفو والعافية ، وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين .

محتويات الكتاب